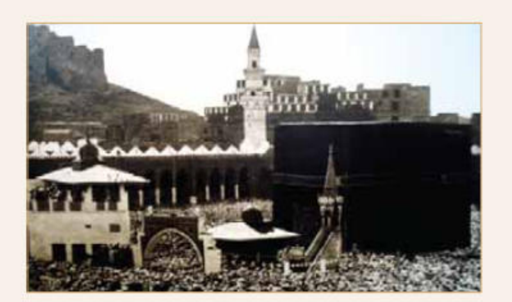
الحجاز

هذا الحجاز تأملوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ



السعودية لا تمارس داخلياً ما تعظ به في الخارج

حوار سعودي لا دين له!



(مكة الكافرة) التي فتحها وأسلمها آل سعود؟!

وجوه حجازية



محاكمة فئة ضالة أم نظام ضال؟

وهابية ليبرالية في الخارج!



السعودية: هل تصبح زوجة قديمة؟

حلف الإعتدال والأفق المسدود



حوار أديان أم مواجهة مع إيران؟

حلف سعودي إسرائيلي قادم



الأسبلة والسقايات في الحجاز

هذا العدد

دولة (الخوار)!

لفت إنتباهي أن عدوى اللغة الحوارية الطارئة التي بدأت تكسو تصريحات الملك عبد الله، لم تنتقل لبقية الأمراء الذين لم نسمع منهم منادياً بالحوار أو مبشّراً به، وكأن للحوار مهمة خاصة يضطلع بها الملك وحده، ويكون مجال استعمالها لأغراض محدّدة. ولربما هناك من لا يريد المخاصمة مع ذاته غير الحوارية، فتفادى الوقوع في مطب حواري قد يشكّل عبئاً أخلاقياً عليه أمام المحيط الإجتماعي الغارق في واحديته.

قبل أن يغادر الملك عبد الله الديار إلى نيويورك لحضور مؤتمر حوار الأديان في ١٢ نوفمبر، أطلق تصريحاً لافتاً في ٢٥ أكتوبر الماضي بمانصه أن (حوار الأديان واجب على كل إنسان وإنسانة). في ظاهر الألفاظ، لم يكن بالتأكيد مجرد إيمان بمبدأ الحوار، بل وإضفاء طابع قدري عليه يزيد في رسوخ الإيمان بحتمية اعتناقه إنسانياً.

إذا كان الأمر على هذا النحو، سيكون بالتأكيد كلام الملك عبد الله عنواناً لتحوّل دراماتيكي في تاريخ البشرية، وسيكون هو، دون باقي الحواريين في هذا الكون، رمزاً فريداً في مجمل النشاط الحواري الإنساني..ولاشك أن منحه جائزة نوبل للحوار، أو بالأحرى للسلام يبدو قراراً صائباً، بل هو جدير بها..ولكن، ذاك إن كان المتبنى الحواري ناشئاً حقاً عن عقيدة صميمية لدى الملك أو أي شخص ينوب عنه أو يمثّله أو من يحرّك بدلاً عنه به لسانه، كيما نقنع بأن الحوار بوصفها معبراً للتعايش السلمي بين الحضارات والمعتقدات السماوية وكذلك المجتمعات بات خاصية سعودية بامتياز.

مهما اجتهدنا وأجهدنا وجاهدنا من أجل إثبات هذه الخاصية فلن نعثر لا في السابق ولا في الحاضر ولا يبدو أن ذلك ممكن في المستقبل المنظور على ما يدل على أن الحوار كان في يوم ما لفظاً أليفاً أو مألوفاً في الثقافة السعودية الرسمية دينياً وسياسياً. في المقابل، هناك عشرات الأدلة التي تتقافز أمامنا عن ضحايا الحوار قتلاً وتشريداً وتشويهاً وعزلاً، إذ لا معنى لحوار إلا بالحرية، ولا حرية إلا بتعددية، فهل حواري من يصادر حق رعيته في التعبير عن آرائهم، ومعتقداتهم الفكرية والسياسية، وهل حواري من يضع المختلف سياسياً وراء القضبان، وهل حواري من يمنع رعيته من تشكيل لجان تدافع عن الحوار وحرية التعبير..

لم يظهر خصوم تكوينيون للحوار كما ظهر في هذه البلاد، حيث لا تسمع إلا صوتاً وحداً بطبقات متعددة، ولا تقرأ إلا فكراً واحداً بوسائل متعددة..فقد قضى أهل التوحيد على خلق الله سبحانه تعالى بأن يختاروا بين الإيمان والكفر، إذ لا سبيل الى الله غير سبيلهم، ولا منجى من الله إلا عبرهم، ومع ذلك بهم يبدأ الحوار وبهم يختم.

وعوداً الى تصريح الملك عبد الله، فإن وجه الغرابة في موقفه الحواري الراسخ أنه يصل بالمزايدة الى ذراها القصوى، في إيحاء غير معهود بأن الزمان قد يأتي على الإستبداد فينجب ديمقراطية، والاقصائية تولّد تعايشاً وحواراً..فالأشياء تنتج مضاداتها، دون حاجة للخضوع الى قوانين تشكّل الأشياء..

حوارية عبد الله ليست شيئاً آخر غير التمهيد لاستئصاله، هكذا كان مصيره وطنياً، فقد سحب الملك الحوار من بين الإصلاحيين الذين طالبوا في (رؤية لحاضر الوطن ومستقبله) في يناير ٢٠٠٣، باعتماد الحوار مبدأ لمقاربة كل مشكلات البلاد، فتمّت مصادرته وأصبح جزءً من أدوات السلطة التي وظّفته في حملة العلاقات العامة بعد تمريره من فوق رؤوس الحالمين بفرصة حوارية تضع حداً حاسماً لأزمة الدولة. كل ما أرادته العائلة المالكة من الحوار، أن يغطّى إعلامياً في الغرب، حيث يراد ترميم الصورة الشوهاء للسعودية بعد الحادي عشر من سبتمبر. كان يكفي الملك عبد الله أن يذكر أحد كتّاب الأعمدة في صحيفة أميركية رئيسية عن الحفلة الحوارية كيما تحدث موجاً في الوسط الإعلامي المحلي الذي سيتولى إعادة الانتاج والمونتاج فتخرج في هيئة منجز حضاري!

ما يلزم التذكير به هنا أيضاً، أن القراءة الحوارية تتطلب ربط ما جرى في الداخل وتصدّر تدريجياً للخارج، فالاشتغال على إعادة تركيب الصورة السعودية تطلّب عملاً دؤوباً، فإعادة طلاء الصورة بدأ في الحوار الوطني بجولاته الثمان، ثم تطوّر ليفتح الحوار على الأفق الإسلامي العام وصولاً الى الأفق الدولي..

حلقات الحوار الممتدّة من مكة الى مدريد وصولاً الى نيويورك، لم تكن تستهدف سوى تنضيج خيارات التطبيع مع الدولة العبرية، هكذا كان المطلب الإسرائيلي في السنوات الأخيرة، فثمة عمل مطلوب إنجازه سعودياً كيما تتأهل الساحتان العربية والإسلامية، ويتقاطع مع عمل آخر يجري الإعداد له في مواقع أخرى، حيث يتصاهر الحوار مع السلام، وفق مبادرة الملك عبد الله التي انطلقت في بيروت ٢٠٠٢. فطرق الإمداد باتت مفتوحة سعودياً للوصول الى نقطة التقاء مع الدولة العبرية، فهناك حوارات تمارس دور التطبيع النفسي والثقافي والديني، وهناك مبادرة سلام بلجان عربية مصمّمة لتمهيد السبيل لتطبيع سياسي ولاحقاً إقتصادي وأمني.

أما الحوار كما نفهمه، أو كما يفهمه الضحايا فلا مكان له في أروقة القصور أو في المطابخ السريّة، حيث يذبح الحوار على غير القبلة..فالحوار يصبح خواراً حين يكون رائده مفتوناً بتقديم المفاهيم الإنسانية قرابين في مشاريع سياسية مشبوهة.

توزيع أدوار بين نايف وعبد الله

الوهابية المتشدّدة في الداخل ليبرالية في الخارج

يحي مفتي

هل هي ثورة مضادة على التقليدية الوهابية، أو ما يوصف زعماً بأنها ليبرالية دينية يقودها الملك عبد الله، أم هي لا تغدو سوى شكل ماكر من أشكال توزيع الأدوار الذي بات الأمراء يتقنون فن استعماله، فقد بدت الإزدواجية خياراً نموذجياً للعبور وسط عواصف خارجية بالدرجة الأساسية.

تبدو عملية توزيع الأدوار عفوية أو بالأحرى شفوية، وإن كانت تخفي خلافاً مفتعلاً داخل العائلة المالكة حيال ما يجب أن تكون عليه صورة الوهابية..في الخارج تقدّم الوهابية على أنها ليبرالية منفتحة يقودها الملك عبد الله ويحلو للبعض بأن يسبغ عليها صفة الثورة الدينية، فيما يضطلع الأمير نايف دور الحارس السياسي على العقيدة السلفية بنسختها الأصلية المتشدّدة.

ولأن الملك عبد الله يقود مبادرة الصلح مع الدولة العبرية، فإن الترتيبات المطلوبة في الخارج تستوجب بنية تحتية جديدة تهيء لأرضية مناسبة للصلح، فبعد الحوار الوطني كأحد صور الإنفتاح على الخارج، بل بالأحرى لرسم صورة مختلفة عن (بؤرة الشر) كما أسماها مسؤولون أميركيون سنة ٢٠٠٣، إذ لا يمكن لهذه الصورة أن تقنع العالم بأن السلام والحوار والإنفتاح يمكن أن ينبعث من هذه البؤرة التي عرفها العالم كمصدّر للإرهاب والمتطرّفين والإنتحاريين، كرّت السبحة بعد ذلك لتفتح أفق الحوار على المستوى الإسلامي العام ثم ينتقل ليستوعب الأديان عموماً، في محاولة لم تعد خافية، فالحوار والتطبيع مع الكيان الإسرائيلي باتا متصاهرين الى حد كبير.

> **بدأ التطبيع مع الدولة العبرية من الحوار الوطني لينسحب الى الحوار الإسلامي وصولاً إلى حوار الأديان.. حوارات بعضها فوق بعض!**

بدأ الملك عبد الله يبشّر خارجياً بنقيض الأحادية الدينية والسياسية في الداخل، فهو يريد تقديم نفسه بوصفه رائداً للحوار والإنفتاح والتعايش بين الأديان والمعتقدات، إضافة إلى كونه رائداً للسلام، فيما يبدو الداخل ساكناً حد الموت حيث تبدو الصورة متناقضة تماماً. فالأمير نايف بن عبد العزيز، وزير الداخلية، يقدّم صورة أخرى من خلال تحالفه مع التيار الوهابي المتشدّد الذي يقف وراء بيانات التكفير ضد المخالفين للعقيدة الرسمية، ويطلق فتاوى القتل ضد من يعتبرهم منحرفين أو خارجين عن الملّة، فيما يواصل رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إبداعاتهم في إصطياد (الخلوات غير الشرعية).

في الداخل، تبدو الوهابية أمينة على أسسها الاعتقادية ورهاناتها ورجالها، فليس هناك ما يمكن وصفه خروجاً عن الخط التقليدي التاريخي للمذهب، فالتبشير الوهابي بأشكاله الراديكالية يبدو اضحاً في كل أرجاء البلاد، في المساجد، والجامعات، وفي الحرمين الشريفين، وصولاً الى مواقع الدعاة والعلماء على شبكة الإنترنت.

ومع اقتراب موسم الحج لهذا العام، سيعيش الحجاج المسلمون ليس مع الوهابية المعدّلة جينياً في الخارج، وإنما مع الوهابية الأصلية وسيكون مشهد المرشدين والمرشدات في المسجد النبوي حاضراً بسطوة، حيث الرسالة المكرورة دائماً أن الصلاة في مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون خالصة لله كيما تكون مقبولة وإلا أصبحت شركاً به، تعقبها أحاديث عن صب اللعنات على زائرات القبور. المرشدات الدينيات يطالبن بما حملنه علماؤهن من أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بدعة، وأن الصلاة في مسجده غير جائزة إن كانت بنيّة القربى، بل يطالبن الزائرات بأن لا يسلمّن على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويحسبان ذلك من البدع.

وما يلفت الإنتباه أن المرشدات الوهابيات موزّعات وفق جنسيات الحملات، فهناك مرشدة لحملة الحج الباكستانية وأخرى للحملة المصرية، وثالثة للحملة التركية وهكذا، ولكن رسالة واحدة تحملها كل المرشدات وهي إبلاغ الحجاج كافة بقائمة البدع التي تجري خلال موسم الحج، بدءً من شكل وجه المرأة من قبيل نمص الحواجب، ومروراً بالسلام على الرسول وزيارة قبره وطلب الشفاعة منه والإحتفال بمولده الشريف، وانتهاءً بقراءة القرآن وإهدائه للأموات أو الصالحين.. إحداهن تقول بأن مرشدات وهابيات في حملة مصرية كن يتناوبن دروس الوعظ عن عدم جوار السفر بدون محرم، لتغرق بعد ذلك في تفنيد الآراء الفقهية الأخرى من حيث المسافة وسن المرأة والرفقة الآمنة. سألتها إحداهن من العجائز: أنا قدمت الى العمرة مع الرفقة الآمنة فأجابتها: عمرتك صحيحة ولكّنك عاصية وآثمة!.

هذه الصورة تتكرر في كل المواقع التي يجد الدعاة أنفسهم معنيين بإبلاغ رسالتهم فيها، وهم ليسوا معنيين بما يعكسه ملكهم في الخارج، بل لا يكترثون لما يقال عن ازدواجية الخطاب السلفي، فأن يكونوا واحديين في الداخل وتعدّديين في الخارج فذلك شأن سياسي ليس إلا وأن مهمتهم تتلخص في الدفاع عن العقيدة بصرف النظر عن من يقبل أو يرفض. هكذا هي أيضاً القناعة المستحكمة لدى الدعاة المتشدّدين الذين يختارون وسائل متنوعة للتبشير بمواقفهم العقدية، ووجدوا فضاءً الكترونياً يسمح لهم بمزاولة تطرّفهم الديني بحرية تامة، فيما لا سبيل للآخرين أن يقحموا الحكومة أو حتى وزير الداخلية الأمير نايف بوصفه الحليف الإستراتيجي للوهابية الراديكالية في دائرة التوريط، فكل شيء يجري بعيداً عن الأضواء، فللوهابية عالمها الخاص التي تنشط فيه، وتتمدد داخله، وهي النموذج الأصلي للعقيدة، أما ما يبوح به العلماء الكبار فليس سوى شكلاً مزوّراً يراد منه تحقيق هدف سياسي محض.

ما يجدر ذكره، أن الوهابية في تطوّرها لم يخفّ غلواؤها ولم تتجه نحو المرونة، حتى على مستوى العقائد الصغرى، بدءً من زيارة القبور، بما في ذلك قبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو قراءة القرآن وإهداؤه للميت، فقد أباح مؤسس المذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب إهداء قراءة القرآن للميت (كتاب أحكام تمنّي الموت)، وكذلك زيارة القبور وقد حسم علماء المسلمين الأمر فيها، بل اعتبروها من باب الصلة بالرحم حتى بعد الموت، وترقيق القلب والزهد في الدنيا الفانية، وتعزيز الصلة بالخالق عز وجل. وكذا الحال بالنسبة للسفر بدون محرم، وقد خرجت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم للحج في عهد الخلفاء ولم ينكر أحد من الصحابة عليهم ذلك، بل أفتى الإمامان الشافعي ومالك بخروج النساء مع الرفقة الآمنة.

وللمرء أن يعجب من فتاوى علماء الوهابية التي مازالت مثبّتة في كتبهم ومواقعهم الالكترونية والتي لا تعكس سوى صورة التشدد الديني القائم على إخراج غالبية المسلمين من مسمى أهل السنة والجماعة واعتبار أن العالم يعيش أوضاع الجاهلية.

كيف يمكن لهذا التراث أن يؤسس لثورة دينية، بله وفي زي ليبرالي أيضاً؟!

الليبرالية الوهابية ليست للاستعمال المحلي، بل بمثابة بضاعة للتصدير، يراد منها حل مشكلة الوهابية مع من شهد ويلاتها منذ الحادي عشر من سبتمبر، وهو ما يحاول الملك عبد الله تسويقه عبر فريق عمل لا يتقن الوهابية العملانية ولا يقدّمها كوصفة مكتملة العناصر، أو حتى يعيد قراءتها، فالنموذج الوهابي المصدّر خارجياً ليس مؤسساً على مراجعة أو تقويم لمحتوياته فضلاً عن بعثرتها، فالفريق المصاحب للملك يدرك تماماً بأن الوهابية ما إن تخضع للمراجعة تصبح إمكانية تفسّخها قوية، إذ أن كل مافيها قائم على قطيعة ونبذ ومحاربة الآخر. فإذا ما قرر الملك وفريقه السياسي إستبدالها بمفاهيم التعايش والحوار والتفاهم والسلام تصبح الوهابية شيئاً آخر مقطوع الصلة بالأسس التي قامت عليها.

وكما في الحوار الوطني في الداخل، فإن من قاطع الحوار لم يكن سوى الوهابية الأصلية، وكذلك من يقاطع الآن حوار الأديان فهي الوهابية الأصلية، لا يعني ذلك مطلقاً أن التحالف بين آل سعود والوهابية قد يضمحل قريباً، فلرجال الوهابية أيضاً غايات ليست بالضرورة مستمدة من (العقيدة) كما يسمونها، وإلا لما وجدنا هذا التمايز بين فريقين في الوهابية يشارك أحدهما في ترويج نموذج الوهابية المنفتحة والحوارية في الخارج، فيما يشارك الآخر في ترسيخ نموذج الوهابية الأصيلة بكل عناصرها المتفجّرة والراديكالية.

ما يثير حقاً أن لغة الانفتاح لدى الوهابي تبدو مواربة غالباً، فهو يدرك بأنه يلبس زياً ليس مصنّعاً في معمل الوهابية الأصلية، ولذلك يحاول أن يستعير شخصية أخرى في داخله لتكون مناسبة لهذا الزي. فالتقارب بين المذاهب، على سبيل المثال، لم ولن يكون في المدى المنظور جزءً من الخطاب الوهابي بشقيه المعتدل والمتشدد، بل الجميع يشتغل على نفي إمكانية وقوعه، ومحاربة من ينخرط فيه وهابياً كان أم سنيّاً بصورة عامة، بل يعتبر العقيدة الصحيحة قائمة على أساس مقاطعة وإظهار العداوة للفرق الضالّة والمبتدعة.

في مقابلة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مع صحيفة (الشرق الأوسط) في ٢٩ سبتمبر الماضي، علّق على سؤال عن السجال الدائر بين السنة والشيعة على خلفية تصريحات الشيخ القرضاوي وردود فعل عدد من علماء الشيعة، فقال: (من رأيي، أن علماء المسلمين يجب أن يكون جهدهم متجهاً إلى إصلاح الأخطاء، وإلى بيان الأخطاء في كل جانب، لأننا إذا سعينا إلى إيقاد نار الخلاف والعداوة، هذا الأمر قد لا يخرج بنتيجة، ولكن النتيجة التي يجب أن نخرج بها هي التعمق في بحث الخلافات والاختلافات، حتى نبين ما يوافق الحق فهو مقبول، وما يخالف الحق فهو مردود، لا ننطلق من منطلق كذا وكذا، ننطلق من منطلق أن من يخالفنا لا بد أن نبين له منهجنا وطريقنا، والخلاف بيننا وبينه على ضوء الكتاب والسنة، ولو جعلنا الكتاب والسنة مصدرين أساسين لمرجع أي خلاف يحدث بيننا وبين الآخرين لاستفدنا خيرا كثيرا، ولذلك قال الله (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا). فالمخالف ممن ينتسب إلى الإسلام فلا بد أن نقول حقيقة الإسلام تفرض علينا أن نجعل كل خلاف مرجعه الكتاب والسنة، فإذا جعلنا مرجعنا الأساسي الكتاب والسنة وما فهمه صحابته الكرام والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فإذا جعلنا كل هذا هو المرجع لحل أي خلاف فإني أرجو أن ينتهي الأمر إلى خير).

في هذا الجواب، لايتبنى المفتي موقفاً تقاربياً بل يؤكد على الموقف العقدي السلفي الذي يرفض التقارب على حساب العقيدة، ولكنه يصوغه بألفاظ وجمل غامضة، وبالتالي فهو ينزع الى حوار مع الآخر بهدف إظهار الحق له وبيان الخطأ الذي هو فيه لعله يؤوب ويرجع الى الصواب الذي عليه المفتي وأهل دعوته.

علاوة على ذلك، فإن قول المفتي (بوجوب الاحتكام الى الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم)، ليس سوى جواب عام يصعب تسييله إلى مقترح عملي لحل المشكلة، بل يؤكد على الخلفية السلفية التي ترد المشاكل الى جذورها العقدية ما يتطلب عودة الى الأصول التشريعية.

لا تبدو المرونة الوهابية التي يحاول أن يعكسها الملك عبد الله في مبادراته الحوارية ذات تمظهرات محلية فلا التمييز ضد المرأة أو التمييز على قاعدة مناطقية أو مذهبية أو حتى قبلية شهدا تغيّراً ملحوظاً، بل في مقابل صورة الوهابية المنفتحة هناك صورة أخرى شديدة الإنغلاق في الداخل.

فالتسامح الديني، والحوار الوطني، وحقوق المرأة تبخّرت تحت غمامة حوارات الأديان التي انطلقت من مكة المكرمة وانتقلت الى مدريد ونيويورك، بل يتم توظيفها الآن لإجهاض التسامح والحوار والحريات، كما تكشف عنها تقارير دولية حقوقية، (تقرير حول الإسماعيلية مؤخراً)، وتقرير مراسلون بلا حدود الصادر في اكتوبر الماضي، وسلسلة التقارير الحقوقية التي صدرت منذ تبني الملك عبد الله مبادرات حوارية خارجية..

يقول المراقبون بأن السعودية بدأت على المستوى الدولي في مناصرة التسامح الديني، ولكن في الداخل مازالت الاحتجاجات مستمرة على التطرّف الديني وسياسات التمييز ضد الصوفية والاسماعيلية والشيعة. في نهاية المطاف، باتت العائلة المالكة على استعداد للعيش ضمن إزدواجية تقوم على توظيف الإنفتاح الخارجي لتعزيز سياسة الإنغلاق والتشدد في الداخل..ويبقى للحوار غاية أخرى في نفس الاسرائيليين.

في الداخل، تبدو الوهابية أمينة على أسسها الاعتقادية ورجالها، فليس هناك خروج عن الخط التقليدي التاريخي للمذهب بنزعته الأحادية الاستئصالية

محاكمة فئة ضالة، أم محاكمة نظام ينقلب على أيديولوجيته؟

توفيق العباد

بدأت الحكومة السعودية بمحاكمة نحو ٩٩١ متهماً ممن قالت أنهم متورطون في قضايا إرهابية، من الذين اعتقلوا في موجات العنف الأولى التي ضربت مدناً سعودية وبالأخص العاصمة الرياض. ومن المشمولين في المحاكمات رموز معروفة مثل الشيخ ناصر الفهد والشيخ علي الخضير والشيخ أحمد الخالدي، وفارس آل شويل، ونمر بن سهاج، وخالد بن جوير.

المحاكمات تم تقديمها على أساس أنها شاهد على العدالة السعودية، وعلى نظام القضاء المستقل.

لكن تلك المحاكمات أثارت من الأسئلة أكثر مما أجابت.

فلماذا ـ أولاً ـ تأخرت الحكومة السعودية في محاكمة المتهمين بعد مضي سنوات طويلة على اعتقالهم؟ وهل اعتقالهم مبني على حكم قضائي أم سياسي؟

ولماذا ـ ثانياً ـ لم توفر الحكومة السعودية مستلزمات تحقيق العدالة فلم تسمح للمعتقلين حتى بلقاء أهاليهم، فضلاً عن لقاء محامين يدافعون عن قضيتهم، ثم حين قررت المحاكمة، لماذا لم تجعلها علنيّة؟ ولماذا رفضت طلب منظمات دولية عديدة الحضور في الجلسة العلنية مثل منظمة هيومان رايتس، فضلاً عن محامين وحتى أهالي المعتقلين؟ وفي الحقيقة فإنه لا يوجد عدد كاف من المحامين في السعودية للدفاع عن هؤلاء والدفعات القادمة، فضلاً عن أن الحكومة لم تسمح للمعتقلين بتعيين محامين ولا هي عيّنت من عندها أحد. وكل الذي حدث أن طلب القضاة من المعتقلين التوقيع على اعترافاتهم التي انتزعت من قبل ضباط الداخلية في السجون وتحت وطأة التعذيب.

وثالثاً، ما هي الأبعاد السياسية والأمنية المتوخاة من هذه المحاكمات التي يفترض ان تكون محاكمات غير مسبوقة في تاريخ السعودية؟

ابتداءً يمكن القول، بأن المحالين على المحاكمة هم من (المتهمين) أي أنه لم يصدر بحقهم قرار إدانة. وبالتالي فإن بقاءهم في السجن لسنين طويلة دونما محاكمة يعدّ مخالفة للقانون السعودي نفسه ونظام المحاكمات الجزائية.

ماذا سيحدث لو تبين أن أحد المتهمين أو بعضهم كانوا بريئين مما نسب إليهم، وأن القضاء (اذا افترضنا أنه عادل ويتمتع بالمصداقية، وهو أمرٌ لا يراه معظم المواطنين) برّأهم مما نسب إليهم؟ كيف ستبرر وزارة الداخلية حينها موقفها؟ بل لو حكم على أحد المتهمين بالسجن لفترة أقل من الفترة التي قضاها بالفعل في السجن، فكيف يكون التبرير؟!

أم أن المحاكمات نفسها، والأحكام التي ستصدر، جاهزة ومرتبة من قبل وزارة الداخلية ذات النفوذ الكبير في جهاز القضاء، وبالتالي لم يبق للقضاة سوى التوقيع، وإدانة المعتقلين جميعاً، بالصورة وللفترة الزمنية التي تراها وزارة الداخلية، منعاً لإحراج الأمير نايف الذي يتذرّع دائماً، بأن حكومة إخوته من آل سعود تطبّق الشريعة؟!

وفضلاً عن ذلك فإن الإعتقالات نفسها لم تبنَ على أساس قضائي، وإنما أمني وسياسي. فكل الحالات المعروفة جاءت الإعتقالات بدون إذن قضائي، وبقاءهم في السجن لم يكن على أساس قضائي، حيث لا تخول القوانين وزارة الداخلية القيام بذلك. وقد التفت القاضي السابق الدكتور عبدالعزيز القاسم الى هذه المسألة الواضحة وعبر عن أمله أن تكون المحاكنة علنية وشفافة تحترم حقوق المتهمين في الدفاع عن أنفسهم وتمكنهم من الإتصال بمحامين.

وشدد القاسم بأن (أغلب المعتقلين هم موقوفون بقرارات أمنية انتهك فيها قانون الإجـراءات الجزائية، الذي يعتبر الإطار القانوني الذي يكفل حقوق الإنسان، ففي قضايا الإرهاب أو العنف الذي حصل من القاعدة في السعودية، تمت الاعتقالات بقرار أمني وليس بقرار من القاضي ولا علم للنيابة العامة بها في أغلب الأحيان).

ثم إن المحاكمات التي بدأتها وزارة الداخلية، لهذه الأعداد الكبيرة، لم تهيّأ لها حتى الموظفين والقضاة والكتبة بما يكفي، فقد تم تعيين ستة قضاة فقط، قد يضاف إليهم ستة قضاة آخرين. فهل يراد طبخ الأحكام على عجل وإدانة المتهمين بالجملة، خاصة وأن هناك أعداداً كثيرة هي الأخرى وبالآلاف تنتظر المحاكمة، وما هؤلاء الذين يقرب عددهم من الألف إلا الدفعة الأولى.

وزيادة على ذلك، فإن الحكومة السعودية أعلنت بأنها ستسن نظاماً قانونياً لمكافحة الإرهاب!، ومع هذا، فهي لم تعلنه، ولا تريد محاكمة هؤلاء وفقه بعد إعلانه. والسبب، أن قانون مكافحة الإرهاب، ومهما كان شكله ـ إن ظهر للعلن ـ فإن الحكومة السعودية لا تستطيع أن تذهب بعيداً في قانونها من جهة تعارضه مع المواثيق الدولية التي وقعت عليها الحكومة السعودية، كما لن ينظر الى المحاكمات بصورة عادلة إذا ما كان القانون موضع شك ولا يحقق العدالة، وهو المتوقع. وبالتالي، وتفادياً للتصادم مع المنظمات الدولية الحقوقية، وحتى لا يُطعن في أصل القانون، تسرّع الأمير نايف وزير الداخلية لمحاكمة المتهمين بالعنف، ولكن وفق (الشريعة الإسلامية)!

والشريعة الإسلامية ما هي ـ عند آل سعود طبعاً ـ إلا غطاء فجّ تمارس من تحته كل الأفعال القبيحة. فكل فعل وكل نقد وكل حركة لا ترغب فيها حكومة السعودية، تفسر أولاً على أنها مخالفة للإسلام، ومن ثم مخالفة للنظام والقائمين عليه. وللتذكير فقط، فإن الأمير فيصل بن مساعد، الذي قتل عمه الملك فيصل، في مارس ١٩٧٥م، حكم عليه بالإعدام، لا لأنه قتل الملك، وثبت ذلك بالصور التلفزيونية التي كانت تسجل لقاءه مع وزير النفط الكويتي، كما ثبت من الشهود الكثيرين الحاضرين.. فكل هذا لم يعترف به

(شرع آل سعود) ورأى قضاة الجناح السديري بأنها لا تكفي لإدانة القاتل، حتى الصور التلفزيونية، لأنه لا يؤخذ بها (شرعاً)! إنما فتوى الإعدام جاءت لأن القاتل مفسد وضد الشريعة الإسلامية!!

هكذا (شرع) يستطيع آل سعود من خلاله ومن خلال قضاتهم إدانة خصومهم، وقمع مخالفيهم، كما فعلوا مراراً. وحين ثار الجدل حول أية قانون سيحاكم وفقه المتهمون.. تعهد وزير العدل السعودي، عبدالعزيز آل الشيخ بمحاكمة المتهمين وفق (شرع الله!!) وشدد أنه لا حاجة الى (استحداث آليات أو اجراءات جديدة)!

أما نايف، بطل المحاكمات، فقد أكد هو الآخر على (شرع الله!) بتفسيره هو طبعاً. وقال في إجابة على سؤال حول (من يشكك في عدالة محاكمة أفراد الفئة الضالة وتقديمهم للعدالة): (نحن ملتزمون التزاماً كاملاً بدستورنا وقانوننا، وهو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونحن نربأ بأنفسنا أن نسيء لأي إنسان سواء كان سعودياً أو غير سعودي). فما داموا فئة ضالة، فمعلوم نتيجة الحكم. والتزام آل سعود بشرع الله واضح، فنهبهم للبلاد يأتي بإسم شرع الله، والقتل والذبح، والسرقات والرشوات، ونهب النفط والميزانية، واعتقال الإصلاحيين، وكثير من الأفعال المخزية، يربطها آل سعود بـ (دستورنا وقانوننا!).

ودولياً، وكثير منهم من نجد، المنطقة التي تشكل دعماً لآل سعود وحكمهم، ولأن هناك إشارات مستمرة حول اعتقالهم وشرعية بقائهم في السجن، فإن آل سعود دُفعوا لتقرير مصير مئات أو آلاف منهم، بحيث يعلم الجميع مستقرّ كل شخص معتقل، ومدة محكوميته.

ويلاحظ أن المحاكمة جاءت في ظل أجواء أمنية مشددة، أُعلن عنها، كما شددت الحراسة على القضاة الذين أعلنت أسماؤهم، الأمر الذي يشير الى أسباب أخرى للمحاكمات في الوقت الحالي. فيبدو أن الحكومة السعودية، وبالذات وزارة الداخلية شعرت بشيء من القوة بعد الضربات التي وجهتها الى القاعدة، وبعد أن زالت الخشية أرادت أن تتوج انتصارها الأمني بانتصار معنوي بوابته القضاء، ولتقول نحن قادرون على محاكمتهم ولا نخشى تعرض القاعدة لا للمحكمة ولا للقضاة.

وهناك رسالة سياسية أخرى موجهة للجمهور أيضاً، وتقول بأن عدد الذين سيتم محاكمتهم كبير جداً، ما يعني أن الخطر كبير

وأنها مع الغرب في قارب مكافحة الإرهاب، وأن السعودية ليست مزرعة أو مفرخة له، كما وصفها أحد الكتاب السعوديين. بل وزايدت الحكومة السعودية على الآخرين عارضة تجربتها (الناجحة) في القضاء على القاعدة كما تقول.

لكن التاريخ السعودي القديم والحديث شاهد على أن العنف يمر بمراحل خمول ثم ينطلق مرة أخرى. وهذا الإنجاز السعودي الجديد ـ إن كان صحيحاً ـ فإنه لن يستمر، وسينفجر عاجلاً أم آجلاً. والسبب يعود الى حقيقة أن الوهابية مصنع فكري للعنفيين داخل وخارج السعودية، وأن الخلل العقدي التكفيري كان سلاحاً بيد آل سعود يستخدمونه ضد من يريدون، وخرج الآن من يدهم جزئياً، وأعيد استخدامه ضدهم. فالوهابية التي كفرت العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه، لاتزال هي هي لم تتغير في مكنونها العقدي، ومن رحمها نفسها خرج من يكفر النظام ويدعو لإزالته.



فارس آل شويل، أحمد الخالدي، علي الخضير، ناصر الفهد

الرسالة السياسية

هناك عدّة استهدافات للمحاكمات المعلن عنها، وللتنبيه فإن هناك عدداً من الإصلاحيين لازالوا في السجون لشهور عديدة، وبعضهم مضى عليه سنوات، ودون محاكمة، أو اتصال بمحامين، ما يعني أن بإمكان الحكومة السعودية ان تعتقل لمدد طويلة مواطنين وشخصيات معروفة بدون محاكمات مثلما هو الحال لمعتقلي جدة والبروفيسور متروك الفالح، وهناك معتقلون سياسيون مضى على اعتقالهم نحو ١٢ عاماً، ولكن العدد الهائل من المعتقلين يفرض إما إطلاق سراحهم ولو بالتدريج أو إبقائهم في السجن مدداً طويلة وفق أصول سعودية! في المحاكمات.

المعتقلون ـ مورد المحاكمة ـ ليسوا من مناطق نائية، والأضواء مسلطة عليهم محلياً

على النظام، وبالتالي فإنه لا بدّ من تحمّل تجاوزات ضباط وزارة الداخلية وتصرفاتها من جهة، ومن جهة ثانية هي توجه تحذيراً للجمهور بأن مصير من يواجه النظام ليس المحاكمة وفق القانون (أي شرع آل سعود) فحسب وإنما السجن والتعذيب قبل أن يقدم الى المحاكمة.

ثم إن وزير الداخلية يريد فيما يبدو أن تبقى وزارته ونشاطاته تحت الأضواء المكثفة، لينال صلاحيات أكبر، وليبرر تخصيص ميزانيات اضافية على أجهزة القمع والمباحث. هناك إلحاح على إشعار الملك عبدالله، بأن النظام الحاكم في خطر، وأنه لا بد من توسيع صلاحيات وممارسات الوزارة القمعية.

وهناك اضافة الى هذا رسالة الى العالم، تقول بأن الحكومة السعودية مسيطرة على الوضع الأمني، وأنها تغلبت على القاعدة،

مضاوي الرشيد والمحاكمة الكبرى

من هنا نرى الدكتورة مضاوي الرشيد تقول في مقالة لها عن (المحاكمة الكبرى) أن المحاكمة السرية للمتهمين إنْ (خرجت تفاصيلها الى العلن، فستكون بمثابة محاكمة مفتوحة للنظام ذاته، خاصة وان هذا النظام قد قام على نفس الفكر الذي يحاكمه اليوم. في الماضي قام النظام السعودي على فكرة تطهير البلاد من البدع، وهو غطاء جمع تحت أطيافه مشروعا سياسيا بحتاً ليست له علاقة بالبدع. وكان اسلوبه منذ البداية نفس الاعمال التي يتهم فيها هؤلاء المجتمعين للمحاكمة).

وتساءلت د. الرشيد: (ألم يكفر النظام السعودي وعلماؤه مجتمع الجزيرة العربية منذ القرن الثامن عشر الميلادي؟ ألم يرسل علماؤه الرسائل التي تنعت هذا المجتمع

بأبشع النعوت حين شبهته بانه مجتمع منحرف أشد كفرا من كفار قريش قبل الدعوة الاسلامية؟ ألم يستعمل هؤلاء العنف في المدن والمساجد لقتل وترويع الابرياء في الحجاز والقصيم وعسير وحايل؟. ألم يقتل المصلون في المساجد ليس بسبب شركهم؟ وكيف هم مشركون وهم يقيمون الصلوات ويقرأون كتاب الاسلام؟. ألم يقطع مجاهدو النظام السعودي النخيل والاشجار ويحرقوا المزارع في مدن وقرى نائية؟. ألم يحولوا الجزيرة العربية الى ساحة حرب تدور رحاها من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب؟. ألم يقطعوا طرق الحج ويروعوا الحجاج، بعضهم منع من اداء فريضته والدخول الى مكة؟. ألم يأتوا بأيديهم الى خراب هذه الارض مما استدعى تدخلاً خارجياً يقضي على فتنتهم التي وصلت الى اقدس الاماكن وهددت السلام في مناطق متاخمة؟).

وتابعت: (التكفير المتهم به مجموعة الفئة الضالة العصرية، سمة من سمات تأسيس الدولة السعودية، والمتهمون الحاليون لم يخترعوا شيئا جديداً، بل انهم نتاج محلي لفكر قديم عمره اكثرمن ٢٥٠ سنة، وأعمالهم التخريبية ما هي الا تطور طبيعي لهذا الفكر الذي يستعمل اليوم وسائل عصرية جديدة كالسيارة الملغومة بدل قطع الاشجار وحرق المزارع. اذن التكفير الحديث هو امتداد طبيعي للتكفير القديم. ولقد جدد هؤلاء تعلقهم بفكرهم وطوروه ليتلاءم مع متطلبات العصر الحديث. فبدل الخطب النارية التكفيرية ورسائل العلماء السابقة التي كانت تقرأ في المساجد بعد صلاة الجمعة، نحن اليوم امام اطروحات تكفيرية تنشر بوسائل عصرية خاصة الانترنيت. تعتمد هذه الرسائل على افكار علماء الدعوة النجدية، ونستطيع ان نجزم ان شخصا واحدا من المتهمين لم تكن مرجعيته من خارج نطاق هؤلاء الأئمة القدامى).

وتضرب مضاوي الرشيد مثالاً من المعتقلين وهو الشيخ الوهابي ناصر الفهد (والذي بين فيها ـ أطروحته ـ كفر من اعان الامريكان، في كتيب انتشر عند بدء الاستعدادات الامريكية لغزو افغانستان عام ٢٠٠٠ و٢٠٠١. يستعمل ناصر الفهد نفس المنطق والمنهج الذي اعتمد عليه طيف كبير من علماء السعودية في القرن التاسع عشر عندما فر احد الامراء السعوديين وطلب مساعدة الوالي العثماني ضد احد منافسيه السعوديين. في هذه اللحظة صدرت فتاوى من الرياض تحرم مثل هذه المساعدة من الكفار، والمقصود هنا الدولة العثمانية ضد المسلمين الحقيقيين الذين بقوا في العاصمة السعودية حينها. كل ما قام به الفهد هو اسقاط الفتاوى السابقة على الحالة العصرية عندما حرم اعانة الغزاة الامريكان في حربهم ضد نظام طالبان والذي اعتبره النظام التقي الذي يطبق الاسلام ويرفع رايته، وهذا هو بالفعل موقف الحكومة السعودية والتي كانت قد اعترفت بنظام طالبان منذ بداية تأسيسه، ولم تقطع علاقاتها معه وتسحب اعترافها الا بعد الضغط الامريكي).

وأضافت الدكتورة الرشيد: (اذا كانت تهمة التكفير تهمة موجهة الى الفئة الضالة، فنفس التهمة تنطبق على تاريخ حافل بالأمثلة والوقائع التي تؤكد ان النظام السعودي قام على التكفير ذاته منذ أيامه الأولى. واذا انتقلنا الى الحرابة فهي ايضا سمة قديمة التزم بها السلوك السياسي للدولة حتى مطلع القرن العشرين. الاعمال التي تهدد امن المجتمع وتتلاعب بسلامته قد كانت وسيلة فعالة في ترويع مواطني الجزيرة وتشتيت شملهم وتهجيرهم من ديارهم. وبالاضافة الى اعمال العنف التي تزامنت مع تأسيس الدولة كانت هناك سلسلة من الاجراءات التي قوضت الامن الاقتصادي للبشر من مصادرة اراضيهم ومطاردتهم وتضييق سبل العيش عليهم، حتى هربت جموع كبيرة من قبائل الجزيرة الى دول الخليج المجاورة وبلاد الشام والعراق. اما الخروج على الحاكم فهو ايضا نمط قديم تأصل في الفكر الذي ادى الى نشوء الدولة الوليدة بالخروج على الدولة العثمانية الموصوفة بالكفر اولا، وبذلك بررت الدولة السعودية تملصها من السلطة المركزية. ليس هذا فحسب، بل ان هناك الكثير من رموز القادة السعوديين الذين خرجوا على اقاربهم وهددوا حكمهم بالزوال؟ ألم يخرج الامير المعروف بسعود الكبير على حكم عبد العزيز بن سعود عندما التجأ الى قبيلة العجمان واستنجد بها ليقوض الدولة في سنواتها الاولى؟. لم يحاكم هذا او يصلح فكره ولم يعتبر من الفئة الضالة. وكذلك ألم يخرج الملك فيصل على حكم اخيه الملك سعود في الستينات مما ادى الى خلع الملك بعد تدخل العلماء الذين افتوا بعدم اهلية سعود للحكم؟. هناك امثلة اخرى لا يسعنا ان نعددها هنا ولكنها مؤصلة في كتب ومراجع تاريخية تجعلنا نعتقد بأن هناك حبلا طويلا يربط ما يسمى الفئة الضالة الحالية بأصولها ومراجعها القديمة. معظم كتابات الفئة الضالة الحالية تعكس قراءة متعمقة وفهما جادا لمنابعها الفكرية، وليس سوء فهم كما تدعي الدولة السعودية وقضاتها. من ناصر الفهد الى سليمان العلوان مرورا بعلي الخضير وفارس الشويل نجد تواصلا فكريا عميقا بين الأئمة السابقين وممثليهم الحاليين. لم يأت هؤلاء بشيء جديد ولم يستحدثوا بدعة كذلك. لم تكن مرجعيتهم يوما ما سيد قطب او حسن البنا او غيرهم من اسلاميي مصر والعالم الاسلامي، بل كانت مرجعيتهم شيوخهم الراحلين وممثليهم الحاليين من شيوخ الصحوة قبل تراجعاتهم وشيوخ المؤسسة الدينية الرسمية من مات منهم ومن ما زال حيا).

وأخيراً خلصت د. مضاوي الرشيد من المحاكمات السعودية فقالت: (محاكمات الفئة الضالة لو قدر لها ان تكون علنية، فستستعرض معضلة النظام السعودي على الملأ، وهي معضلة دولة تنكرت لفكرها وبدأت تحاكمه من خلال مجموعة كبيرة من ابنائها. لو ان النظام يحاكم افراده على خلفية فكر مستورد او مبتدع جديد لكان الامر سهلا ومحسوما. لكن محاكمة الذات ستبقى اقسى محكمة في تاريخ الدولة السعودية. تتطلب محاكمة الذات قدرة اقناع كبيرة من اجل الفصل بين من ضل عن فكر الدولة ومن بقي مواليا له. انها عملية تمحيص ونبش للماضي وفكره واستئصال الامور التي قد تؤدي الى تفعيل عمليات التفجير والقتل والتدمير دون ان تفقد الدولة كل موروثها الفكري، لان فقدان هذا الموروث سيحدث فراغا وعدما لا تستطيع خطابات حوار الاديان والتقارب ان تملأه.. وان كانت هناك حقيقة ثابتة ارتبطت بقيام الدولة فهي تنطلق من كون فكر الدولة يأبى ان يروض ويدجن مهما كثرت المؤسسات المناطة بها عملية الترويض. منذ ١٩٢٧ وحتى هذه اللحظة يشتعل هذا الفكر ويثور وتحاول الدولة اطفاء الحريق بمساعدة خارجية من طائرات بريطانية في العشرينيات من القرن المنصرم، الى كاميرات المراقبة في العصر الحديث واجهزة التنصت الحالية. وستبقى الدولة السعودية اسيرة الحلقة المفرغة التي تدور هي وانصارها بها دون ان تجد المخرج).

أوباما أسود.. أسود.. أسود.. أسود!!

السعودية: زوجة قديمة خائفة من المستقبل

محمد فلالي

لم تجد النخبة السعودية الحاكمة، ومعها مؤسستها الدينية الوهابية ومدعو الليبرالية النجديون، لم يجدوا شيئاً مثيراً في الإنتخابات الأميركية الأخيرة، غير (اللون الأسود)، فصبّوا تعليقاتهم العنصرية (رغم زعمهم الدين وتطبيق الشريعة) على الرئيس الجديد أوباما، متظافراً مع احتقار عنصري بغيض انفجر مخزونه في الأسابيع الأخيرة للحملة الإنتخابية الأميركية، ولازال متواصلاً حتى الآن في المنتديات الوهابية ومقالات الصحف السعودية وغيرها.

لم يجد هـؤلاء المتسعودون شيئاً مثيراً في وصول أوباما للحكم، يتعلمون منه، أو يعتبرون بـه، في بلد متنوع ثقافياً يحكمونه بمنطق عنصري واستعلائية مذهبية وهابية ومناطقية نجدية شائنة. حتى الوهابي المتديّن، أظهر كمّا من العنصرية والبغض للون الأسود فاق حدود الوصف، أكثر من الكره لليمني المتطرف ماكين الذي خسر الرئاسة.

ليس جديداً القول بأن السعودية لم تشعر بألم من وصول رئيس أميركي بمثل ما أزعجها وآلمها وصول أوباما لسدة الرئاسة. فإضافة الى لونه، هناك سياساته المتوقعة سعودياً، والتي يرون احتمالاً كبيراً ان لا تخدم توجهاتهم الخاصة ونفوذهم في الشرق الأوسط.

كلنا يعلم عن العلاقة الخاصة التي ربطت بين عائلتي آل سعود وبوش. هي علاقة قديمة على اية حال.

وكلنا يعلم بأن السعودية رغم امتعاضها من بعض سياسات بوش، إلا أنها في فترة حكمه الثانية استطاعت إعادة العلاقات حارّة كما كانت في الماضي، مع بوش الأب، خاصة بعد التخلي الأميركي عن موضوع الإصلاح السياسي السعودي، واستبعاد فكرة الضغط على السعودية لمواجهة أيديولوجية الإرهـاب التي فرخت القاعدة. وزيادة على ذلك، كانت السعودية داعماً قوياً لسياسة بوش واليمين المحافظ تجاه سوريا وإيران وحزب الله وحماس، وهي بنت سياساتها المستقبلية على أساس صراع مستمر مع تلك القوى، بالتحالف مع بوش والإدارة الجمهورية، كما على دعم قوى اليمين في الإتحاد الأوروبي.

بيد أن السعودية صُدمت في الأشهر الأخيرة حين بدا واضحاً أن أميركا وأوروبا ستتراجعان عن سياساتها الصدامية مع إيران وسوريا، خاصة بعد أحداث لبنان، وسيطرة المعارضة على الشارع اللبناني والعاصمة بيروت. وشنّت السعودية هجوماً صريحاً تارة ومبطّناً تارة أخرى على الرئيس ساركوزي لدعوته الأسد لزيارة بيروت، ثم لزيارته دمشق وفتح الباب أمامها لكسر الطوق السياسي الذي أحيطت به.

ومع أن السعودية لاحظت تغيراً في الموقف الأميركي من دمشق، إلا أنها أصرّت على مواصلة سياساتها الحادة تجاه حلف الممانعة، بالرغم من تراجع أطراف حلف الإعتدال الآخرين كمصر. السعودية راهنت على وصول رئيس أميركي أكثر راديكالية من بوش، أو في أقل الأحوال، رئيس يواصل مسيرة بوش، كما هو ماكين، الذي أمل السعوديون وصوله الى الرئاسة، والتأثير عليه - بالتعاون مع اسرائيل واللوبي الصهيوني - لزيادة جرعة التشدد، تجاه الموضوع النووي الإيراني، وتجاه سوريا والآخرين المخالفين للسعودية وإسرائيل.

لهذا نلاحظ، أن اللوبي الإسرائيلي كما اللوبي السعودي والأموال السعودية واليهودية، لم تلعب دوراً له قيمة في الإنتخابات الأميركية، لأن ماكنة أوباما الإنتخابية اعتمدت في جلّها على الجمهور الأميركي لأول مرة في تاريخ الدعم للحملات الإنتخابية الرئاسية. وحتى الإعلام الإسرائيلي/ اليهودي فإنه كان متضامناً مع الإعلام السعودي يؤديان دوراً واحداً في تلميع ماكين، ولم يكن أوباما يذكر بخير، اللهم إلا في الأسابيع الأخيرة من الحملة الإنتخابية (كما فعلت فوكس نيوز) وذلك خوفاً من أن ينتصر أوباما بالفعل، فيتخذ مواقف تجاه تلك الأطراف وسياساتها.

من سوء حظ السعودية أن أوباما فاز في الإنتخابات. فهي - منذ بداية سطوع نجمه قبل سنوات حين اصبح سناتوراً - لاحظت أنه واحد من الناقدين الأساسيين لسياساتها. ثم إن السعودية رأت أن مشروع أوباما - على الأقل في حملاته الإنتخابية - قائم على التراجع عما فعله بوش، وبالتالي مناقضة سياساته.

السعودية لا ترغب في سحب القوات الأميركية من العراق، كما يريد أوباما في ١٦ شهراً، فذلك يعني تصاعداً للنفوذ الإيراني هناك. والسعودية لا يزعجها شيء أكثر من الموضوع الإيراني، الذي أطاح بالنفوذ السعودي في المنطقة وأعاده الى الوراء عقوداً طويلة.

والسعودية أيضاً، لا تريد أيضاً أن يتفاهم أوباما مع إيران حول الموضوع النووي، لأن مشروع نفوذ السعودية في المنطقة قائم على الصدام بين أميركا وإيران، وهي ترى أن تحسّن العلاقات الأميركية الإيرانية، والوصول الى تفاهمات حول الموضوع النووي ومسائل الأمن الأقليمي يعني ضربة قاصمة للنفوذ والمكانة السعودية، وتقوية لجناح طالما اعتبرته أميركا واسرائيل والسعودية ارهابياً خطيراً. والإعلام السعودي يقول بصريح العبارة: لا نقبل بأن يكافئ أوباما إيران على تشددها! وماذا عن حلفاء أميركا المعتدلين؟ كيف يقبل أوباما بإضعافهم؟!

لم يخف السعوديون قلقهم من وصول (الأسود) الى البيت (الأبيض) كما هي تعليقات صحفهم ومنتدياتهم الدينية الوهابية، وتبارت بعض المقالات السعودية، كمقالات الشرق الأوسط، بشخص رئيس تحريرها، لتقول بأن أميركا لا تستغني عن خدمات السعودية. وشنّت حملة على المبتهجين بأوباما، فلأول مرة لا يبتهج حلفاء أميركا من السعوديين بقدوم رئيس أميركي جديد، في حين - وربما لأول مرة أيضاً - يبتهج أعداء أميركا بوصول أوباما، ابتداءً من ايران ومروراً بسوريا، وروسيا، وانتهاءً بفنزويلا وكوبا، ودول أميركية لاتينية أخرى. لم يجد طارق الحميد المنزعج من أوباما، إلا أن يشتم حماس وحزب الله وسوريا وإيران، ويهددهم بسيف أوباما القادم، متناسياً بأن من استطاع الصمود أمام صلف بوش وسلاح جيشه كما جيش إسرائيل، لن يخيفه الرئيس الجديد، حتى وإن امتطى نفس

الحصان الخاسر.

القلق السعودي مركز على أمر واحد، وإن كانت هناك موضوعات أخرى له صلة به، وهو: كيف ستتعامل الإدارة الأميركية الجديدة مع إيران. فالسعودية لا ترى في الكون كله عدو غير إيران، ولا غرو فهي التي تشجع وتنشر مقولة أن عدو العرب الرئيس هو إيران، وأن الخطر الإيراني أكبر بكثير من الخطر الإسرائيلي. ويحاول السعوديون معرفة مدى صدق اتجاهات أوباما الخارجية بشان التفاوض مع إيران. فأصل المنهج التفاوضي يرفضه السعوديون؛ ربما لعلمهم أن البرغماتية الإيرانية السياسية يمكن أن تتوصل الى حل مع أميركا، بحيث تصبح القوة الأولى في المنطقة، متجاوزة السعودية التي عاشت (معززة) في غياب الأقوياء، وبتحالف مع أعداء العرب، ونعني بذلك، غياب العراق وتهميش دور إيران لثلاثة عقود، ووضع العراقيل أمام الدور السوري، وأخيراً وضع مصر كتابع ذليل للسياسة السعودية.

إمكانية التفاهم الإيراني/ الأميركي، يقلق السعودية بشكل كبير. فهذا التفاهم لا يمكن أن يتم إلا بحلحلة جملة من القضايا، والتفاهم على مسائل متنوعة، خسرتها السعودية لصالح ايران وسوريا.

فمثلاً، إذا ما أراد أوباما سحب قواته من العراق، فإنه لا يستطيع أن يفعل ذلك بسهولة، أي بدون اتفاق مع ايران وسوريا، وإلا فإن الدولتين الأخيرتين ستعززان نفوذهما، وستملآن الفراغ الأميركي الذي تخلّفه.

وهذا يعني أن أوباما ـ حتى في هذا الموضوع العسكري ـ غير قادر على تنفيذ وعوده لناخبيه بشأن الإنسحاب من العراق.

نعم، يمكن للسعوديين أن يراهنوا على أن الجناح المتشدد في إيران سيضيع الفرصة، ولكن رسالة التهنئة التي بعثها نجاد لأوباما، هي سابقة إيرانية منذ ثلاثة عقود، خاصة وأن البلدين إيران وأميركا لا علاقة سياسية رسمية قائمة بينهما. الأمر الذي يشير الى أن الجناح المحافظ في إيران قدم إشارة الى أنه على استعداد للتفاهم مع الرئيس الجديد. ولا يخفى أن الإعلام السعودي ركز على الرسالة الإيرانية وسخر منها، ولكن بعض السياسيين السعوديين يدركون بقدر غير قليل بأن الرسالة الإيرانية قد تكون مقدمة لتغيير سياسة أميركا، بنحو ما، في الشرق الأوسط، كما تأمل إيران وحلفاؤها.

وهناك مراهنة سعودية أخرى، وهي أن تفشل محاولات التفاهم بين البلدين، بإرادة أميركية، حيث تأمل السعودية أن يتغلب الجناح الراديكالي في الإدارة الجديدة والذي يقوده نائب الرئيس، وبعض المستشارين للرئيس، وبينهم متعاطفون مع اسرائيل. وبالتالي، ستعود الأمور متوترة الى سابق عهدها.

السعودية ربطت استعادة نفوذها الضائع في المنطقة بفلسفة سياسية قائمة على صراع أميركي إيراني، وليست سياستها مبنية على فهمها الخاص والمستقل لمصالحها، ولا على إمكانياتها الذاتية. وطالما أن السياسة الأميركية المتعلقة بالشرق الأوسط سيعاد النظر فيها، على الأقل في الموضوعين الإيراني والعراقي، فإن السعودية ملزمة بتغيير نهجها، وإلا بقت وحيدة في مواجهة إيران التي أظهرت هي الأخرى بعض المخالب للسعوديين، وإن من زاوية اعلامية. وليس أمام السعودية، كما عودتنا دائماً، إلا أن تتماشى مع النهج السياسي الأميركي وتتصالح معه، يميناً أو يساراً، صعوداً أو هبوطاً. أما المخالفون للنهج الأميركي فقد كسبوا في عهد بوش ما لم يكسبوه من أي عهد سابق، رغم رعونة بوش واستخدامه القوة والضغوط المالية والسياسية. وما عهد أوباما ـ في نظر المراقبين ـ إلا إعلان الهزيمة، ولكن بإخراج يحفظ ماء الوجه وبشكل صامت. وهذا ينطبق على السعودية وإسرائيل ومصر أيضاً، فهي قد خسرت في عهد بوش ما لم تخسره في أي عهد سابق. فإذا ضعف القلب الأميركي وبان عجزه، لا يسع الأطراف والأيادي والذيول إلا أن تضعف.

لا تستطيع السعودية التعايش مع الأقوياء في المنطقة. لا مع عبدالناصر ولا مع صدام ولا مع إيران كمؤسسة. ولا السعودية بقادرة على التسليم بخسارة مواقعها لصالح دول تشعر إزاءها بالإحتقار، كما انها غير قادرة على (التكويع السياسي) فتلتف على الخسائر وتعيد النظر في سياساتها، وتبني جسوراً جديدة تمكنها من استعادة بعض ما فقدته. السعودية ليست في وارد هذا كلّه، وهي ترغب في صدام يطيح بقوة إيران، كما حدث أثناء الحرب العراقية الإيرانية، أو حرب مثلما شنت على صدام، أو صدام يطيح بالأسد، فيعيد بعض الثقة لجناح الإعتدال بنفسه، ويغير من موازين القوى المذهبية ـ بنظرها. لهذا احتفت السعودية ـ وليس فقط لم تدن ـ بالهجمة العسكرية الأميركية على منطقة البوكمال الحدودية السورية، مثلما احتفلت من قبل بتفجير دمشق الذي قام به سعودي وهابي متطرف أنتجته أيديولوجية الحكم السعودي نفسه.

لا خيارات كثيرة أمام السعودية. فهي قد جرّبت الورقة الطائفية، ولاتزال تؤمل منها خيراً، رغم سقوطها في نهر البارد، كما في طرابلس. وهي جربت حرب تموز، وجربت ارسال الوهابيين للتخريب في العراق وايران وسوريا ومولتهم. وجربت تخفيض سعر النفط للإضرار بإيران كما فعلت في الثمانينيات. وهي اليوم تبحث عن أحد ـ أي أحد ـ إسرائيلياً كان أم أميركياً ليحارب بالنيابة عنها ايران أو سوريا، أو حتى حماس المعتقلة في سجن غزة.

الخيارات السعودية تضيق، ولكنها الرعونة والصلف. وسواء تفاهم أوباما مع إيران أم فشل في ذلك، فإن السعودية أبعد من أن تكسب أرضاً في السنوات الأربع القادمة، لا هي، ولا إسرائيل.


لم يعجب آل سعود لونه، ولا سياسته!

السعودية لا تقبل أن تكون إيران الزوجة الجديدة، أو الزوجة المطلقة التي تعود لزوجها بعد ثلاثة عقود، وهي تقول إما نحن أو إيران! فهل هذا خيار تستطيعه السعودية فعلاً؟! دولة لا إمكانيات حمائية إليها، اختبأت منذ تأسيسها وراء القوى العظمى (بريطانيا ثم أميركا) لا تستطيع أن تقول لا لأميركا. نعم تستطيع فعل ذلك بعد أن تقطع مسافة طويلة، مسافة تبني فيها ذاتها من جديد بعد أن تعيد اكتشاف نفسها، وترمم استقلالها المزعوم، وتنشيء قوتها الخاصة بها. أما التمدد السياسي على ذراع أميركي، فليس مضموناً، ولا قدراً.

(الحجاز للحجازيين) رغم خديعة إبن سعود

مكة الكافرة التي فتحها وأسلمها آل سعود!!

محمد قستي

الحروب الوهابية على الحجاز في الفترة ما بين ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ لم تنطلق من مجرد رؤية سياسية أو عسكرية محض، بل يندسّ فيها البعد العقائدي بدرجة عميقة، إن صدقاً وإن كذبا، وهذا لا تعكسه رسائل العلماء الوهابيين وفتاواهم فحسب، بل تفصح عنه بوضوح شديد رسائل عبد العزيز وبياناته أيضاً، بالرغم من كونه أسبغ طابعاً دينياً على حروبه بعد نحو عقد من انطلاق حروبه في نجد ١٩٠٢ واحتلاله الإحساء سنة ١٩١٢.

ولاريب أن المكان ـ الحجاز يستوجب ترتيبات أيديولوجية مختلفة، إضافة إلى التجهيزات العسكرية واللوجستية والبشرية، وهذا ما جعل إبن سعود يعلي من نبرته الدينية مع بدء تجريده الحملات العسكرية الى الحجاز. كان يدرك تماماً حساسية المكان ليس على المستوى المحلي بل والإسلامي العام، فقد بقيت السيادة الدينية على الحجاز مفتوحة لعامة المسلمين، ولذلك كانت محاولات إخضاعه دينياً وسياسياً تتطلب معالجة حاذقة، ترعى حسابات دقيقة لدى المسلمين وردود فعلهم واعتبارات المكان وقدسيته..

من المفارقات اللافتة، أن كل الذين حكموا الحجاز سلماً أو عنوة لم ينطلقوا من رؤية عقدية تكفيرية للمجتمع الحجازي، باستثناء الوهابيين منذ بدء حملاتهم الأولى في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث كانوا ينظرون الى مكة والمدينة بوصفهما مدينتين مشركتين وأهلهما مشركون. هكذا تكشف الرسائل والوفود التي بعث بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى علماء الحجاز حيث تبدو اللغة الرسولية بارزة بصورة ملفتة. وحتى بعد احتلال مكة المكرمة، فقد صعد الغازي السعودي ـ الوهابي المنبر في المسجد الحرام وصار يلقي على من حضر أصول الإعتقاد، ويأمرهم بتجديد الدخول في الإسلام بإعلان الشهادتين والإلتزام بأركان الدين والإبتعاد عن الحرام..

لم تكن الرؤية العقدية مقتصرة على الطبقة الدينية الوهابية، بل أصبحت جزءً من الخطاب السياسي السعودي، فقد اعتبر الملك عبد العزيز أهل مكة مشركين. وقد نقل جون فيلبي الحوار الذي دار بينه وبين عبد العزيز في صيف ١٩١٨ ـ ١٣٣٦هـ قال فيه: إذا قدّمت أنت الإنجليزي إبنتك لي كزوجه سأتزوجها ولا أشترط إلا أن يكون أولادي مسـلمين ولكني لا أتزوج إبنة الشريف ولابنات أهل مكه ولاغيرهم من المسلمين الذي نعتبرهم مشركين..

هذه الرؤية صدرت قبل أن يغزو عبد العزيز الحجاز بست سنوات، ثم جرى تسييلها خلال المعارك الوهابية في الطائف والمدينة ومكة وجدة، حيث أخذت شكلاً دموياً، ولم يتورّع جنود عبد العزيز عن اقتراف مجازر وحشية في (تربه) بالطائف، وأخرجوا السكّان الآمنين من ديارهم، وصادروا ممتلكاتهم ثم جاءوا بمعاولهم في مكة يهدمون ويخرّبون ما زعموا بأنها أصنام تعبد من دون الله!

لم يكن استعمال عبد العزيز لفظة (الفتح) بعد غزو الحجاز مجرد هفوة لغوية، إذ يمكن لمن يقرأ الوثائق هنا أن يجد كلمة الفتح تتكرر في بياناته، بل إن التوصيفات التي وردت فيها، وكذلك في كتب مؤرخي الدولة السعودية الأولى (عثمان إبن بشر وحسين بن غنام) حيث يبدؤون رواياتهم عن الغزوات الوهابية بـ (غزا المسلمون..) وأمثالها.

وصف عبد العزيز غزوه للحجاز فتحاً، لما لذلك من دلالات دينية وتاريخية، فما قام به ليس سوى امتثالاً لمملى رسولي يخرج به أهل الحجاز من الظلمات إلى النور، ويعملهم الكتاب والحكمة بعد أن كانوا في ظلال مبين..هكذا هو التصوير الوهابي السعودي لاحتلال الحجاز!

ولأنه يدرك تماماً ماذا يعني احتلال الحجاز بالنسبة للمسلمين، عمد إلى قضمه بالتدريج وليس دفعة واحدة، ليس لأن المقاومة كانت شديدة فحسب، بل الأهم من ذلك لأن إحتواء ردود الفعل الإسلامية وتمرير الخدعة تطلب خطوات تمهيدية محسوبة بدقة بالغة.

بدأ مخطط القضم بتوجيهه خطاباً الى أهالي جدة مرفقاً مع كتابة إلى القناصل الأجانب، نشرته جريدة (أم القرى) في عددها الأول الصادر في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ/ ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م، وجاء في الخطاب (فلا بد أنه بلغكم أن أغلب العالم الإسلامي قد أبدى رغبته وعدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين وأولاده).

أراد عبد العزيز من هذه الرسالة تهيئة أجواء خطواته القادمة، فهو يقدّم نفسه مخلّصاً للحجاز من حكم الأشراف، ما يلمح إلى أنه جاء فاتحاً ومن هذه حاله يستحيل أن يسلّم الحجاز لمن يراه مشركاً أو فاسد العقيدة، وإن دعوى تسليم مقاليد الحجاز للحجازيين سوى بداية الخديعة.

في بداية احتلال الحجاز، أوحى عبد العزيز للمسلمين بأنه سيعيد الحجاز لأهلها، وهم يختاروا من يحكمهم بل وشكل الحكم التي يرتضون، على أن تكون السيادة للأمم الإسلامية عامة، ثم تغيّر الحال فأصبح هو مجرد مشرف على شؤون الحجاز فيما يترك لسكانه تقرير نظامه الإداري، ثم أصبح حاكماً عليها على أن يعطى لمجلس الشورى المنتخب في الحجاز ولاية عليه، ولما تمكّن من إحكام قبضته على الحجاز بالكامل وتبدّدت مصادر تهديد سلطانه على الحجاز سحب البساط من مجلس الشورى وبدأ في توهيب الحجاز قضائياً وإدارياً وحتى سياسياً.

الوثيقة (١) : نشرت جريدة (أم القرى) في العدد ٣٠، السنة الأولى، الصادر في ٢ محرم ١٣٤٤هـ/ ٢٤ يوليه ١٩٢٥م ما نصّه:

بلاغ عام إلى المسلمين

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود إلى إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

الحمد لله الذي لا إله إلا هو. والصلاة والسلام على رسوله محمد الشفيع المشفع يوم المحشر (وبعد):

فقد تفاوضت أنا والوفد الهندي الموفد من جمعية الخلافة الهندية وجمعية العلماء في المسائل التي يهم المسلمين الإطلاع عليها والوقوف على حقيقة

أفكارنا تجاهها.
وكان رائد الجميع الإخلاص في العمل والصراحة في القول والنصح لله ولرسوله وللمسلمين وإني أحمد الله على أن انتهى البحث على اتفاق في جميع المسائل التي دارت المفاوضة فيها.
وإني دحضاً لما يفتريه أعداء الحق ونصراء الباطل، ممن يستغلون التفرقة بين المسلمين ويحاولون أن يطفئوا نور الله بسعيهم الباطل للتمويه على قلوب السذّج من المسلمين الذين يجهلون حقيقة ما نحن عليه، أعلن ما يأتي ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة.
١/ أشكر الشعوب التي وقفت تجاهنا موقف المدافع عن الحق، وأشكر الشعب الهندي خصوصاً على موقفه تجاه العرب وقضيتهم في الوقت الذي اشتغل العرب بالمشاحنات والمخاصمات، ونسوا واجبهم نحو دينهم ووطنهم وإني أشكر أهل الهند لأنهم كانوا أول من لبى الدعوة، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.
٢/ إني لا أزال عند قولي فيما دعوت العالم الإسلامي إليه من وجوب عقد مؤتمر عام ينظر في الأمور التي تهم سائر المسلمين في الحجاز من إصلاح الطرق وتأمينها وتوفير وسائل الراحة لكل وافد وتسهيل المواصلات بقدر ما يمكن وبذلك نتحمل نحن وإياهم مسؤولية إدارة الحجاز، وستجدد الدعوة لهذا المؤتمر الإسلامي متى مهّدت وسائل المواصلات.
٣/ أننا نحافظ على استقلال الحجاز الإستقلال التام محافظتنا على أرواحنا، وإننا لا نسمح أن يكون لغير المسلمين أي نفوذ فيه محافظة على ديننا وشرفنا.
٤/ أن الشريعة الإسلامية هي القانون العام الذي يجري العمل على وفقه في البلاد المقدسة وأن السلف الصالح وأئمة المذاهب الأربعة هم قدوتنا في السير على الطريق القويم، وسيكون العلماء المحققون من جميع الأمصار هم المرجع لكل المسائل التي تحتاج إلى تمحيص ونظر ثاقب.
٥/ أني أؤكد لكم القول أن المدينة المنورة لا تزال حرماً آمناً لا يصح أن يحدث فيه حدث من قتل أو سلب أو نهب وصوننا لشرفها اكتفيت بحصارها على ما في ذلك من طول وقت وخسائر مالية وأني استطيع بحول الله وقوته أن أفتحها في ساعة واحدة ولكني حريص على سلامة البلاد والعباد. وإني مشدد الأوامر على الجنود ألا يهاجموا حرم المدينة بأي صورة ولا يدخلوها حتى يستسلم العدو، وأن ما فيها من المباني والمآثر يكون العمل فيه على ما تقدم في المادة السابقة.
إن أعداءنا يشيعون أننا إذا استولينا على المدينة نهدم روضة الرسول صلى الله عليه وسلم وحاشا أن تحدّث نفس مسلم بذلك أني أفتديها بنفسي وولدي ومالي ورجالي، وإني لا أجد فرقاً بين ما حرم الله ورسوله من حرم مكة والمدينة، فإنه صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتيها، كما حرم سيدنا إبراهيم عليه السلام حرم مكة، وأسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
حرر في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٣هـ

في هذه الوثيقة يشير عبد العزيز بطريقة غير مباشرة أن ثمة سخطاً عاماً في العالم الإسلامي يكمن وراء رفض دعوته للاجتماع لمناقشة وضع الحجاز، وهناك من اعتبر الإجتماع مناسبة لإضفاء مشروعية على الاحتلال السعودي الوهابي للحجاز، كما يظهر من دفاعه عن الوهابية ورده على الانتقادات المتصاعدة ضدها في بلدان العالم الإسلامي.
من جهة ثانية، دافع عبد العزيز عن الاتهامات التي وجّهت إليه وأنه لم يرد بحروبه علي الحجاز سوى احتلالها، وليس تحريرها وحفظ استقلالها، وهذا يلمح أيضاً الى خلفية قرار رفض للمشاركة في المؤتمر.
تعكس الوثيقة لغة مرنة ومنفتحة وتسامحية تجاه باقي المسلمين، تبرز منها النزعة الاستيعابية المفتعلة، خصوصاً حين يتحدّث عن إدماج المدارس الفقهية الإسلامية كمرجعية تشريعية في الحجاز.
ما تلفت إليه الوثيقة أيضاً، أن تهمة هدم قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لاحقت الوهابيين منذ غزوهم للحجاز، وجاءت كتابات الوهابيين اللاحقين مثل (إبراهيم الجبهان، والشيخ ربيع المدخلي وآخرين) لتثبت التهمة، وبالتالي فإن كلام عبد العزيز عن افتدائه القبر بروحه وماله وولده ليس سوى جزء من خديعة كبرى تحدق بالحجاز برمته.

وثيقة (٢): نشرت جريدة (أم القرى) في العدد ٣٩، الصادر في ٧ ربيع الأول ١٣٤٤هـ/٢٥ سبتمبر ١٩٢٥، نص خطاب العفو العام، الموجّه من السلطان عبد العزيز آل سعود، إلى أهالي مكة، وجاء الخطاب بعنوان (بلاغ سلطاني..عفو عام)، وفيما يلي نص الوثيقة:
إنني منذ دخلت جنودي هذه البلدة المطهرة أمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم. ولما وصلت بنفسي إلى حرم الله هذا أكدت ذلك الأمان وأصدرت عفواً عاماً عن جميع ما كان من أي إنسان كان فيما سلف واليوم أعود وأكرر لكافة الناس أن كل إنسان كان في خدمة الحسين أو تحت طاعته فهو في أمان الله ومغفور له جميع ما تقدم من ذنبه متى عاد لهذا البلد الطاهر وأخلد للراحة والسكون فالبلد بلد الله والأمن أمن الله ولكنني لا أسمح بوجه من الوجوه أن يقوم بأي دعاية للذين أكثروا في هذه البلاد الفساد، وأننا سنوقع أشد أنواع الجزاء على أي إنسان كان يأتي بأي حركة في ذلك السبيل فمن كان يريد السلامة لنفسه فحباً وكرامة ومن كان يريد السوء فلا يلومن إلاّ نفسه.

في هذه الوثيقة يوجّه عبد العزيز رسالة الى القيادات السياسية التي كانت مع الشريف حسين، مثل الصبان والخطيب وغيرهم والذين جرى استيعاب بعضهم ضمن الجهاز الإداري الحجازي الخاضع لسلطة ابن سعود.
ما يدهش في هذه الوثيقة' تلك اللهجة الرسولية التي كان يستعملها عبد العزيز، ولم تكن خطاباً مرتجلاً وإنما نص مكتوب ما يعزز القناعة بأن الرجل يتحدث بلغة الفاتح والنبي كقوله (..فهو في أمان الله ومغفور له جميع ما تقدّم من ذنبه..)، فتلك لغة لا تصدر، إن صدرت، الا عن الأنبياء.

(الوثيقة ٣): ورد في الصفحة الأولى من جريدة (أم القرى) العدد ٤٥ الصادر في ١٩ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ/٦ نوفمبر ١٩٢٥، كتاب السلطان ابن سعود، إلى ملوك المسلمين والجمعيات والهيئات الإسلامية وجهه يوم ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٣ ما يلي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود
إلى...
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فإني أرجو لكم دوام الصحة والعافية وأني لسعيد أن أمد يدي ليدكم ولكل يد عاملة لخير الإسلام والمسلمين، وأني مملوء ثقة أنه بتعاوننا على الخير سيكون المستقبل السعيد لجميع الشعوب الإسلامية.
إني لست من المحبين للحروب وشرورها، وليس لدي شيء أحب من السلم والسكون، والصفاء والهناء، والتفرّغ للإصلاح، ولكن جيراننا الأشراف أجبروني على امتشاق الحسام وخوض غمرات الحرب خمس عشرة سنة لا في سبيل شيء سوى الطمع على ما بأيدينا، فقد صدونا عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد. ودنّسوا البيت الطاهر بكل أنواع الموبقات مما لا يحتمله مسلم. لقد رفعنا علم الجهاد لتطهير بلاد الله الحرام وسائر بلاد الله المقدّسة من هذه العائلة التي لم تترك سبيلاً لحسن التفاهم وحسن النية بما اقترفت من الشرور. وإني والذي نفسي بيده، لم أرد التسلط على الحجاز، ولا تملّكه، وأن الحجاز وديعة في يدي الى الوقت الذي يختار الحجازيون لبلادهم والياً منهم ليكون خاضعاً للعالم الإسلامي تحت إشراف الأمم الإسلامية والشعوب التي أبدت غيرة تذكر في هذا السبيل كأهل الهند وأمثالهم.
إن الخطة التي عاهدنا عليها العالم الإسلامي، والتي لم نزل نحارب من أجلها مجملة فيما يلي:

١/ أن الحجاز للحجازيين من جهة الحكم وللعالم الإسلامي من جهة الحقوق التي لهم في هذه البلاد.
٢/ سنجري الاستفتاء التام باختيار حاكم الحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الإسلامي ويحدد الوقت اللازم لذلك فيما بعد، وسنسلم الوديعة التي في أيدينا لهذا الحاكم على الأسس الآتية:
١ ـ يجب أن يكون السلطان الأول والمرجع للناس كافة الشريعة الإسلامية المطهرة.
٢ ـ حكومة الحجاز يجب أن تكون مستقلة في داخليتها، ولكن لا يصح لها أن تعلن الحرب على أحد، ويجب أن يوضع لها النظام الذي يمكنها من ذلك.
٣ ـ لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات سياسية مع أي دولة كانت.
٤ ـ لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع أي دولة غير إسلامية.
٣/ تحديد الحدود الحجازية ووضع النظم المالية والقضائية والإدارية للحجاز موكول للمندوبين المختارية من المم الإسلامية. وسيحدد عددهم باعتبار المركز الذي تشغله كل دولة للعالم (الأصل) الإسلامي والعربي. وسيضم لهؤلاء مندوبين (الأصل) من جمعية الخلافة، وجماعة أهل الحديث، وجمعية العلماء في الهند، ومندوبين (الأصل) من قبل الجمعيات والهيئات الإسلامية، التي تمثل المسلمين في الديار التي ليست فيها حكومة إسلامية.
هذا ما نويناه لهذه البلاد، وما سنسير عليه في المستقبل إن شاء الله تعالى. ولي الأمل العظيم، في أن تسرعوا في إرسال مندوبيكم وإخبارنا عن الوقت المناسب لعقد هذا المؤتمر. هذا ما لزم بيانه.
ملحوظة:
أرسل هذا الكتاب إلى: جلالة ملك مصر، جلالة ملك الأفغان، رئيس الجمهورية التركية، جلالة شاه إيران، جلالة ملك العراق، الأمير عبد الكريم (الخطابي) أمير الريف (في المغرب)، صاحب السيادة الإمام يحيى (حميد الدين إمام اليمن)، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس، رئيس جمعية الخلافة في بومباي، جمعية الحديث في أمرتسر (بالهند)، جمعية العلماء في الهند، صاحب الدولة باي تونس، رئيس حكومة طرابلس الغرب، الشيخ بدر الدين الحسيني، الشيخ بهجت البيطار في دمشق، النظارة الدينية المركزية في بلدة أورفا من بلاد روسيا، القاضي مصطفى شرشلي في بلدة تيزي أوزو بالجزائر، رئيس شركة إسلام في بلدة جو كجاكارتا من بلد جاوه، الشركة المحمدية في جاوه.

يبدي عبد العزيز في هذا الخطاب الموجّه الى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية مرونة مفتعلة، حين يؤكد على شعار (الحجاز للحجازيين)، بما يمليه من خطوات تؤكد على حق سكان الحجاز على إدارة شؤون بلادهم ـ الحجاز. غير أن عبد العزيز لم يترك ذلك الشعار مفتوحاً، دون أن يربطه بقيود تفضي في نهاية المطاف الى خضوع السلطة والحكم في الحجاز له وحده، حين ثبّت موضوع الاستفتاء لاختيار حاكم في الحجاز. يلزم الإشارة هنا إلى أن عبد العزيز يوجّه خطابه ولما يسقط الحجاز بالكامل عسكرياً، ولذلك لم يكن من السهولة بمكان إعلان الحجاز إمارة سعودية وهابية قبل أن يستكمل مخططه الاحتلالي. وسنلحظ أن مرونة ابن سعود تزول تدريجياً كلما نجح في قضم المزيد من الأراضي الحجازية، فيما ينكث بوعوده للحجازيين وللعالم الإسلامي بتسليم الوديعة لحاكم من أهل الحجاز، الذي لم يظهر قط، وإنما عنى بالحاكم نفسه أو من ينوب عنه من أبنائه، وهذا أيضاً مقتضى (الفتح الوهابي) للحجاز.

(وثيقة ٤): نشرت جريدة (أم القرى) في عددها ٥٢ الصادر في ١١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/٢٧ ديسمبر ١٩٢٥م، بلاغاً عاماً، من السلطان عبد العزيز إلى أهل الحجاز، مايلي نصّه:
بسم الله الرحمن الرحيم
بلاغ عام
من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود إلى إخواننا أهل الحجاز سلمهم الله تعالى.
السلام عليكم ورحمة الله، وبعد:
فإني احمد الله إليكم وحده الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده. وأهنئكم وأهنىء نفسي بما منّ الله علينا وعليكم من هذا الفتح، الذي أزال الله به الشر، وحقن دماء المسلمين، وحفظ اموالكم، وأرجو من الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه، ومتبعي هداه.
إخواني: تفهمون أني بذلت جهدي وما تحت يدي في تخليص الحجاز لراحة أهله وأمن الوافدين إليه: طاعة لأمر الله، قال جل من قائل: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)، وقال تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم).
ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن ساد السكون والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه، وبعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مُر الحياة وأتعابها.
ولمّا منّ الله بما منّ، من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه، أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد. وأمّا الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو.


شعار (الحجاز للحجازيين) صار للنجديين!

وإني أبشّركم ـ بحول الله وقوته ـ أن بلد الله الحرام في إقبال وخير وأمن وراحة، وإنني إن شاء الله تعالى سأبذل جهدي، فيما يؤمن البلاد المقدّسة، ويجلب الراحة والإطمئنان لها.
لقد مضى يوم القول، ووصلنا إلى يوم البدء والعمل، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، واتّباع مرضاته، والحث على طاعته، فإنه من تمسّك بالله كفاه، ومن عاداه ـ والعياذ بالله ـ باء بالخيبة والخسران. إن لكم علينا حقوقاً، ولنا عليكم حقوقاً. فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة. وحقنا عليكم المناصحة، والمسلم مرآة أخيه. فمن رأى منكم منكراً في أمر دينه أو دنياه فليناصحه فيه. فإن كان في الدين، فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإن كان في أمر الدنيا، فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء.
إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة. وإني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار. فإني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً. وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره.

هذا ما يتعلق بأمر اليوم الحاضر، وأمّا مستقبل البلد، فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه مع أهل الحجاز، لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها.

وإني أسأل الله أن يعيننا جميعاً ويوفقنا لما فيه الخير والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تحريراً بجدة في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤هـ

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود

بدأت لغة الفتح تبرز في بيانات عبد العزيز، وتصاعدت معها النبرة الدينية والمهمة الرسولية، فهو اليوم لا يتحدث بلغة الغازي العسكري، وإنما بلغة الفاتح الذي يحمل معه رسالة دينية، ويريد تطهير الحجاز من الأصنام والأوثان، وهاهو يستعمل لغة التهويل الديني وينذر باسم السماء بعقوبات لأهل الأرض من العاصين الذي يخالفون أوامره. الأهم من ذلك، أن عبد العزيز لا يقدّم نفسه كمستودع على الحجاز، بل أصبح يتحدث بلغة الحاكم الذي يريد فرض الأمن والنظام والحقوق المفروضة على سكان الحجاز، ويحذر من الخروج عليه (فإني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً. وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره).

ثمة مهمة إبراهيمية يتقمصمّها عبد العزيز في إدارة شؤون الحج، الذي سيكون أحد المصادر الكبرى لمداخيل دولته، ولابد حينئذ من تأمين طرق الحج كشرط لتأمين الشريان الحيوي لاقتصاد دولته.

وثيقة (٥) نشرت جريدة (أم القرى) في عددها ٥٤ الصادر في ٢٣ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/٨ يناير ١٩٢٦ بلاغاً عاماً من السلطان عبد العزيز مايلي نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونشكره، ونصلي ونسلم على خير أنبيائه وأشرف مخلوقاته سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم،

أمّا بعد فلقد بلغ القاصي والداني ما كان من أمر الحسين وأولاده وأمرنا إلى أن اضطررنا لامتشاق الحسام دفاعاً عن أرواحنا وأوطاننا ودفاعاً عن حرمات الله ومحارمه. ولقد بذلت النفس والنفيس في سبيل تطهير هذه الديار المقدّسة إلى أن يسر الله الكريم بفضله فتح البلاد واستتباب الأمن فيها. ولقد كانت عزيمتي منذ باشرت العمل في هذه الديار أن أنزل على حكم العالم الإسلامي - وأهل الحجاز ركن منه - في مستقبل هذه الديار المقدّسة. ولقد أذعت الدعوة للمسلمين عامة غير مرة أدعوهم لعقد مؤتمر إسلامي يقرر في مصير الحجاز ما يرى فيه المصلحة، ثم عززت ذلك بدعوة عامة وخاصة، فأرسلت كتاباً للحكومات والشعوب الإسلامية في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤، وقد نشر ذلك الكتاب في سائر صحف العالم، ومضى عليه ما يزيد عن الشهرين لم أتلق على دعوتي جواباً من أحد، ما عدا جمعية الخلافة في الهند فإنها - بارك الله فيها - عملت وتعمل كل مافي وسعها لراحة الحجاز وهنائه.

ولما انتهى الأمر في الحجاز إلى هذه النتيجة التي نحمد الله عليها جاءني أهل الحجاز جماعات ووحداناً يطلبون مني أن أمنحهم حريتهم، التي وعدتهم بها في تقرير مصيرهم فلم يسعني أمام طلباتكم المتكررة إلا أن أمنحهم هذه الحرية، ليقرروا في شأن بلادهم ما يشتهون بعد ما ظهر من العالم الإسلامي هذا الصد والإعراض عن مثل هذه القضية الهامة (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

٢٢ جمادى الثانية ١٣٤٤

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود

يستعيد عبد العزيز في هذا البلاغ لغة الفاتح، حيث يضع حروبه ضد الشريف حسين في إطار ديني، فيما تتكشف حقيقة ردود الفعل السلبية من دعوته لعقد مؤتمر إسلامي لتقرير مصير الحجاز، فقد كان الموقف الإسلامي سلبياً بعد أن أماط ابن سعود اللثام عن أهدافه الحقيقية من غزو الحجاز. فلم تنطل الخدعة على زعماء الدول الإسلامية، الأمر الذي دفعه لتوظيفها لصالحه بكونه ألقى العذر على من رفض الدعوة.

يلحظ أيضاً تشويه متعمد من ابن سعود لموقف أهالي الحجاز، حين زعم بأنه منحهم الحرية في تقرير مصير بلادهم، بل وجد في صدود زعماء البلدان الإسلامية فرصة مناسبة لاستكمال مهمة الاحتلال وإحكام القبضة على مقاليد وشؤون الحجاز.

مقولات الفتح السعودي عند ابن سعود

× أهنيء نفسي بما منّ الله علينا وعليكم من هذا الفتح، الذي أزال الله به الشر، وحقن دماء المسلمين، وحفظ اموالكم، وأرجو من الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته

× ولمّا منّ الله بما منّ، من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه، أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد

× أني أؤكد لكم القول أن المدينة المنورة لا تزال حرماً آمناً ... وصونا لشرفها اكتفيت بحصارها.. وإني استطيع بحول الله وقوته أن أفتحها في ساعة واحدة

× ولقد بذلت النفس والنفيس في سبيل تطهير هذه الديار المقدّسة إلى أن يسر الله الكريم بفضله فتح البلاد

(وثيقة ٦): نشرت جريدة (أم القرى) العدد ٥٥، الصادر في ٣٠ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/ ١٥ يناير ١٩٢٦، أول بيان لسلطان نجد، بعد بيعته ملكاً على الحجاز موجه إلى معتمدي الحكومات الأجنبية في جدة

بلاغ ملكي إلى الحكومات المتحاربة

بفضل الله وبنعمته قد أجمع أهل الحجاز وبايعونا بالملك على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين من بعده، وتأسيس حكم شوري يكون شأن الحجاز فيه للحجازيين. وقد استعنا بالله وتوكلنا عليه وقبلنا هذه البيعة، مستمدين التوفيق والمعونة من الله تعالى. وقد أصبح لقبنا (جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها). وسنقوم بتوطيد الأمن والراحة والرخاء، وجلب السعادة والهناء لسكان هذه الديار، ولجميع الوافدين من الحجاج والقصّاد. وسنعمل كل ما من شأنه أن يحقق رغائب العالم الإسلامي، ويقر أعينهم في إدارة هذه البلاد المقدسة.

نسأله تعالى أن يعيننا على حمل أعباء هذا الأمر والله ولي التوفيق

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز

بدا واضحاً في هذه الوثيقة أن عبد العزيز قد استكمل فصول خديعة الإحتلال تحت شعارات نبيلة، فقد تبخّرت وعوده بتطبيق (الحجاز للحجازيين)، وتفويض أمر الحجاز لحاكم منتخب. لم تحصل البيعة له دون حملة تهويل واسعة النطاق، فصارت بيعة قهرية زعم بأنها جاءت إجماعية. وما يلفت أن اللهجة الدينية تخفّفت بدرجة لافتة، فلم نعد نرى تلك اللغة العقدية الصارمة والجازمة، بل إن إسباغ عبد العزيز لقب ملك، وليس خليفة، أو حتى سلطان يشي بنزوع تسلطي شديد. فبينما اختار ابن سعود أن يكون مجرد سلطان في نجد وملحقاتها، قرر أن ينفرد بلقب ملك على الحجاز، وكأن هذه المنطقة تعني له شيئاً أكبر من مجرد سلطة، بل ملك أبدي، يراد دمجه في شعار (ملك الآباء والأجداد)، وبالتالي فإن ما

يعطيه لأهل الحجاز بحسب إحساناً منه وليس واجباً عليه أو حقاً مشروعاً لأهل الحجاز. أراد أيضاً القول بأن تأسيس المملكة يبدأ من الحجاز، وبالتالي فإن نجاح مشروعه السياسي يتوقف على سيطرته على منطقة الحجاز الذي منه يستتب الأمن في عموم المناطق الأخرى.

(وثيقة ٧): نشرت جريدة (أم القرى) في عددها ٧١ الصادر في ٧ ذي القعدة ١٣٤٤هـ/ ١٤ مايو ١٩٢٦، أول بلاغ رسمي يصدره عبد العزيز بعد فرض سيطرته على الحجاز وفيما يلي نصّه:

بلاغ رسمي

الدعوة لانتخاب المجالس الاستشارية

امتثالاً لأمر الله تعالى في استشارة أهل الرأي والخبرة، والرجوع إلى آرائهم فيما يهم من الأمور ورعاية لحقوق الأمة وأداء للأمانة التي حملنا إياها، أمرنا بما هو آت:

١/ يؤلف مجلس استشاري في كل من مكة والمدينة وجدة وينبع والطائف للنظر في المسائل العامة المحلية. وتكون هذه المجالس بالانتخاب بدرجة واحدة.

٢/ يؤلف مجلس مكة من عشر أعضاء سوى الرئيس الذي تختاره الحكومة، ومجلس المدينة من ستة أنفار سوى الرئيس، ومجلس ينبع من أربعة أعضاء سوى الرئيس، ومجلس الطائف من أربعة أعضاء سوى الرئيس.

٣/ يؤلف مجلس عام يدعى (بمجلس الشورى العام) ينتخب أعضاؤه من قبل المجالس الاستشارية المحلية ويؤلف أعضاؤه من ثلاثة عشر عضواً، أربعة من مكة وإثنان من المدينة، وإثنان من جدة، وآخرين من ينبع، وواحد من الطائف، وثلاثة من رؤساء العشائر.

٤/ الذين لهم حق الإنتخاب هم طوائف العلماء وأعيان البلاد والتجار ورؤساء الحرف والمهن.

الأعضاء المنتخبون يجب أن تتوفر فيهم الشروط الآتية وهي:

١/ إجادة القراءة والكتابة، وحسن السيرة، وعدم صدور أحكام مخلة بالدين والشرف.

٢/ مدة عضوية هذه المجالس سنة واحدة.

على نائبنا العام القيام بتنفيذ أمرنا هذا

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز

مجلس الشورى في الحجاز ليس سوى النسّخة المزوّرة لوعد إبن سعود بمنح الحجازيين حق تقرير المصير، وكما طار وعد الإستقلال كان مقدّراً ومقرراً للمجلس أن يؤول الى المصير نفسه. ببساطة، لأن عبد العزيز أراد من المجلس شرعنة سلطته، واحتواء حركة الإحتجاج ورموزها ضمن إطار رسمي أريد له أن يكون جزء من مرحلة انتقالية يتم فيه ترسيخ أركان السلطة. وفي كل الأحوال، صار المجلس مجرد الحلقة ما قبل الأخيرة لمصادرة الحجاز واحتلاله التام.

(وثيقة ٨): نشرت جريدة (أم القرى) في عددها ٧٥ الصادر في ٣٠ ذي القعدة ١٣٤٤هـ/ ١١ يونيه ١٩٢٦م، خطاب الملك عبد العزيز الإفتتاحي للمؤتمر الإسلامي الأول هذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

أما بعد فإني أحييكم وأرحب بكم وأشكر لكم الدعوة إلى هذا المؤتمر.

أيها المسلمون الغيورون! لعل اجتماعكم هذا في شكله وفي موضوعه أول اجتماع في تاريخ الإسلام ونسأله تعالى أن يكون سنة حسنة تتكرر في كل عام، عملاً بقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وبإطلاق قوله عز وجل (وأتمروا بينكم بمعروف).

إنكم تعلمون أنه لم يكن في العصور الماضية أدنى قيمة لما يسمى في عرف هذا العصر بالرأي العام الإسلامي، ولا بالرأي العام المحلي، بحيث يرجع إليه الحكام للتشاور فيما يجب من الإصلاح في عهد الإسلام. ومشرق نوره الذي عم الأنام وقد تولى أمر الحجاز دول كثيرة كان من خلفائها وسلاطينها من عنوا ضرباً من العناية ببعض شؤونه. ومنهم من أراد أن يحس فأساء بجهله. ومنهم من لم يعدل بأمره البتة. فتركوا الأمراء المتولين لإدارته بالفعل يلحدون في الحرم، ويفسدون في الأرض، ويظلمون السكان والحجاج ما شاءت مطامعهم وأهواؤهم.

وقد تفاقم البغي والعدوان بعد زوال سيادة الدولة العثمانية عن هذه البلد وخلوص امرها إلى الشريف حسين بن علي آخر اولئك الأمراء، فاضطرب العالم الإسلامي كله من استبداده وظلمه، ومن عجز عن توطيد الأمن في البلاد، ومن جعلها تحت السيطرة الأجنبية غير الإسلامية، كما هو منصوص في مقررات نهضته الرسمية، وفيما نشره في جريدة القبلة. ولدينا مما ترك في أوراقه الخاصة بخطة ما هو أجل مما ذكر على جعل نفسه عاملاً موظفاً لبعض الدول الأجنبية.

وقد كنا معشر النجديين جيران الحجاز عرضة لبغيه وإيذائه لنا في ديننا ودنيانا من رمي بالكفر، ومنع من أداء فريضة الحج وإغراء لبعض رعايانا بالخروج علينا، وغير ذلك مما لا يحل لبسطه في هذا الخطاب فلما بلغ السيل الزبى وثبت بالتشاور بين أهل الحل والعقد عندنا أنه يجب علينا شرعاً إنقاذ مهد الإسلام من بغيه وظلمه وعزمنا على ذلك وتوكلنا على الله في تنفيذه، وبذلنا أموالنا وأنفسنا في سبيله، فأيدنا الله بنصره، وطهرنا البلاد المقدّسة من بغيه وبني ولده، كطما عاهدنا الله ووعدنا المسلمين.

وكان مما وعدنا به وشرعنا في تنفيذ الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي. وقد بينا في كتاب الدعوة إليه خطتنا ورأينا الشخصي في حكومة الحجاز المستقبلة، فلم يجنبي على دعوتي الأولى من المسلمين غير بعض جمعيات إخواننا من مسلمي الهند، ولكني مع ذلك الإعراض لم أيأس من اهتمام المسلمين في هذه الديار المقدّسة فوجهت الدعوة الثانية إلى عقد هذا المؤتمر.

أيها الإخوان: إنكم تشاهدون بأعينكم وتسمعون بآذانكم ممن سبقكم إلى هذه الديار للحج والزيارة أن الأمن العام في جميع بلاد الحجاز حتى بين الحرمين الشريفين بدرجة الكمال التي لم يعرف مثلها ولا يقرب منها منذ قرون كثيرة، بل لا يوجد ما يفوقها في أرقى ممالك الدنيا نظاماً وقوة ولله الفضل والمنة: ففي بحبوحة هذا الأمن، والحرية التي لا تنفيذ إلا بأحكام الشرع، أدعكم إلى الائتمار والتشاور في كل ما ترون من مصالح الحجاز الدينية والعمرانية والنظم التي يطمئن بها العالم الإسلامي بإقامة شرع الله والتزام أحكامه وآداب دينه في مهد الإسلام ومهبط الوحي، وتطهيره من البدع والخرافات، والفواحش والمنكرات، التي كانت فاشية فيه بدون نكير، وباستقلاله المطلق وسلامته من كل نفوذ أجنبي.

أدعوكم إلى تدارك كل ما قصر فيه من قبلنا من المسلمين بتركهم وطن دينهم الذي بزغ منه نور الهدى والعرفان، في ظلمات حالكة من الجهل وفساد الأخلاق والآداب، أدعكم إلى النظر في كل وسيلة لجعل حرم الله وحرم رسوله أرقى معاهدة العلوم علماً وعرفاناً، وخير معاهدة التربية تهذيباً وأدباً، وأكمل بلاد الله صحة ونظافة، وأولى البلاد الإسلامية بإحياء دعوة الإسلام.

كل شيء في هذه البلاد يحتاج إلى الإصلاح. وحكومته وأهله في أشد الحاجة إلى مساعدة العالم الإسلامي لهما على هذا الإصلاح، لأن فيه من يعلم ما لا يعلمون، ويقدر على ما لا يقدرون.

أيها المؤتمرون الكرام، أنكم أحرار اليوم في مؤتمركم هذا. ولا تقيدكم حكومة البلاد بشيء وراء ما يقيدكم به دينكم من التزام أحكامه، إلا بشيء واحد سلبي وهو عدم الخوض في السياسة الدولية، وما بين بعض الشعوب الإسلامية وحكوماتها من خلاف فإن هذا من المصالح الموضعية الخاصة بتلك الشعوب.

إن المسلمين قد أهلكهم التفرّق في المذاهب والمشارب، فأتمروا في التأليف بينهم والتعاون على مصالحهم ومنافعهم العامة المشتركة، وعدم جعل اختلاف المذاهب والأجناس سبباً للعداوة بينهم (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وكذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون (١٠٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم).

وأسأل الله عز وجل أن يوفقني وإياكم لإقامة دينه الحق، وخدمة حرمه وحرم رسوله صلوات الله وسلامه عليه، والتأليف بين جماعة المسلمين، والحمد لله رب العالمين

٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٤

يبدأ عبد العزيز رسالته برسم صورة القائد الإسلامي الذي جاء بمعجزة نادرة الحدوث في تاريخ المسلمين. وعلى خلفية هذا التصوير، تقرر أن يعقد المؤتمر الإسلامي وقد أغلق عبد العزيز الأبواب على الحجاز، ولم يعد هناك ما يخافه أو التنازل عنه، فالمؤتمر يعقد وقد أصبح ملكاً، فتحت سقف سلطانه يتم التباحث في الشؤون الحجازية. لم يكن سوى مناسبة بروتوكولية عادية، أراد منها عبد العزيز مباركة قادة الدول الإسلامية لحكمه في الحجاز، ولذلك جاء خطابه الافتتاحي تعبيراً عن موقعه كملك على هذه المنطقة، وليس قسيماً أو شريكاً مع بقية قادة المسلمين، دع عنك تخويل الحجازيين أنفسهم بالحديث عن مصير بلادهم. أصبح ابن سعود في هذا المؤتمر يملي جدول أعماله، ويطالب المشاركين بما يجب تداوله وما لا يجوز الاقتراب منه، وهاهو يستعرض منجزاته السياسية والأمنية في الحجاز، كما يستعرض سياسات قادمة ينوي رسمها وتطبيقها فيه. لم يعد يكترث لانتقادات المسلمين ولا تقديم تطمينات لهم بشأن تهديم قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو إزالة آثار الرسالة من المدينتين المقدّستين، فذلك بات (شأناً داخلياً) محض لا يجوز للآخرين التعرّض له أو إثارته. وبالتالي فالحجاز لم يعد للحجازيين، بل تحوّل للسعوديين الوهابيين!

(وثيقة ٩): نشرت جريدة (أم القرى) في العدد ٨٠ الصادر في ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٤هـ/٩ يوليه ١٩٢٦م بياناً من الملك عبد العزيز إلى المؤتمر الإسلامي هذا نصّه:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أيها الإخوان:

لا أريد أن أتداخل في أعمالكم ولا أقيد حرية المؤتمر في البحث كما وعدت بذلك في خطاب الإفتتاح، ولكني ألفت نظركم الكريم إلى بعض الأمور بصفتي زعيماً من زعماء الإسلام الذين ألقيت إليهم مقاليد أمور هذه البلاد.

إن الدعوة التي وجهتها إلى ملوك المسلمين وأمرائهم وشعوبهم والتي عليها أوفدت الحكومات والشعوب ممثليها تنحصر في إسعاد هذه البلاد وإنهاضها من كبوتها، وجعلها في المستوى اللائق بكرامة المسلمين دينياً وعلمياً واقتصادياً. ولقد كنت انتظر من حضرتكم كما ينتظر إخوانكم المسلمون في كل مكان أن تخطوا خطوات واسعة في هذا السبيل، ولكن يظهر أننا نحاول القيام بكل شيء في أول مؤتمر إسلامي، وأخشى أن حرصنا على القيام بكل شيء، يجعلنا نفقد كل شيء، وأفضل شيء التدرج في السير فرب عجلة وهبت ريثا

أيها الإخوان:

إني وإن لم أحضر مجلسكم، واقف على مباحثكم بالتفصيل، فإني على اتصال دائم روحي بكم، ويهمني جداً أن تنجحوا حتى تبرهنوا للعالم أن المسلمين أهل للحياة، وأنهم يجب أن يأخذوا قسطهم من الحياة في هذا الوجود، وأن دينهم لا يحول دون رقيهم، وإن اختلفوا في الآراء والأفكار، فهم أمام المصلحة العامة كتلة واحدة لا تنفذ إليهم الأغراض والأهواء.

أيها الأخوان:

إني لا أريد علواً في الأرض ولا فساداً ولكن أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول عهد السعادة والقوة عهد الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، لا شيء يجمع القلوب ويوحّدها سوى جعل أهوائنا تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا بقعة في الأرض تصلح لهذا الغرس سوى هذه البقعة الطاهرة، التي منها بزغ شمس الإسلام، ولذا فإني أرى أن تكون الكلمة العليا، والرأي النافذ لجميع العلماء المحققين، الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم، وإن جميع البلدان الإسلامية مملوءة بالعلماء أولي البصيرة والخبرة، فلترسل كل أمة منهم جماعة ليقوموا بالوعظ والإرشاد وتقرير ما يجب تقريره في هذه البلاد.

كلنا يعلم أن هذه البلاد ينقصها شيء عظيم من الإصلاح ديناً ودنيا، فشاركونا في ذلك نشكركم، ويشتد ساعدنا بكم. أما تركنا نسير وحدنا والوقوف موقف الناقد العاذل، فذلك لا يليق بالأخوة الإسلامية التي تربطنا جميعاً.

أيها الإخوان:

إننا لا نكره أحداً على اعتناق مذهب معين، أو السير في طريق معين في الدين، فذلك موكول أمره لعلماء الدين وحملة الشريعة، ولكني لا أقبل بحال من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات، التي لا يعتبرها الشرع وتأباها الفطرة السليمة. لا يسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته ولكن لا يصح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين او يثيروا فتنة عمياء بين المسلمين وخير لنا أن ننظر إلى صالح المسلمين ونترك هذه الأمور الجزئية للعلماء فهم أحرص منا على ذلك.

أيها الأخوان:

أرجو أن لا تضيع الفرصة الباقية قبل أن تستفيد البلاد المقدسة منكم، حتى يجيء الحج القادم وقد شعر المسلمون الوافدون أنكم قمتم بواجبكم نحو هذه البلاد. وبهذه المناسبة أقدّم لكم خطتنا السياسية لهذه البلاد لترشدونا إن أخطأنا وتؤيدونا إن أصبنا:

إننا لا نقبل أي تدخل أجنبي في هذه البلاد الطاهرة أياً كان نوعه.

إننا لا نقبل امتيازاً لأحد على أحد، بل جميع الوافدين لهذه البلاد يجب أن يخضعوا للشريعة الإسلامية.

إن بلاد الحجاز يجب أن يوضع لها نظام حيادي خاص لا تحارب، ولا تُحارب. ويجب أن يضمن بعد الحياد جميع الحكومات الإسلامية المستقلة.

النظر في مسائل الصدقات والمبرات التي ترد من سائر الأقطار الإسلامية، ووجوه صرفها، وانتفاع البلاد المقدّسة منها.

هذا ما أحببت تقديمه إليكم، والله يتولانا وإياكم برعايته، ويوفقنا جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ

في خطابه الثاني للمؤتمر، بدت لهجة عبد العزيز أشد صرامة وحزماً، بالرغم من أنه أدرك في مرحلة مبكّرة بأن قادة الدول الإسلامية لن يحضروا المؤتمر، لأن في ذلك إعترافاً غير مباشر بشرعية احتلاله للحجاز. قرر الغياب عن المؤتمر، وكان ذلك دليلاً كافياً على عدم جديّة عبد العزيز بموضوع المؤتمر كما زعم قبل استكمال مراحل احتلال الحجاز.

وهنا يمزج عبد العزيز بين بعدين سلطوي ورسولي، بزعم العودة بالمسلمين إلى العصور الأولى للإسلام، بما يشير إلى موقف عقدي من المجتمعات الإسلامية القائمة، كونها منحرفة عن خط الإسلام النقي، ولذلك اعتبر الحجاز، بزعمه، منطلقاً لحركة تديين واسعة النطاق، على طريقة المسلمين الأوائل.

لفتت الوثيقة أيضاً الى أن عبد العزيز بدا حاسماً في معارضة تدخل أي دولة أخرى في الشؤون الحجازية، والتي جمعها تحت عنوان (تدخل أجنبي)، بعد ان كان يعرّف الأجنبي من غير المسلمين، ولم يكن القصد به الدول الأوروبية وغيرها في خطابه الثاني، بل كان يشير إلى الدول الإسلامية بدرجة أساسية، كما يفهم من تنظيم الموارد المالية في الحجاز (الصدقات والمبرات التي ترد من سائر الأقطار الإسلامية)، ووجوه صرفها، إذ لم يعد منذاك للدول الإسلامية أن تقرر مصارف الأموال المرسلة الى الحجاز، ولا السيطرة عليها، بل ستكون جزءً من ماليات الدولة السعودية.

بيان فتنوي جديد

السلفيون مستاؤون من التقارب بين المسلمين

ناصر عنقاوي

لم تكد تنتهي الزوبعة العابرة بين العالم الكبير الشيخ يوسف القرضاوي وعدد من علماء الشيعة بعد مؤتمر مناصرة القدس الذي عقد في العاصمة القطرية، الدوحة، في الثالث عشر من أكتوبر الماضي والذي كان من ثماره إحتواء الأزمة الطارئة بين الشيخ القرضاوي وعدد من علماء الشيعة، حتى برز من لم يرق لهم التقارب بين المسلمين فأرادوها فتنة عمياء تعمّ بلاد المسلمين. فقد أبى بعض السلفيين الموتورين إلا إضرام نارها، وإبقاءها مشتعلة، ولأنه مذهب قائم على المناكفة وتفجير الخصومات، فقد هاله أن تنتهي الزوبعة ولمّا يقطف ثمارها، فتصنّعوا الحرص على موقع الشيخ القرضاوي، وطالبوا بما لم يطالب به لنفسه، ونسي هؤلاء أن ما قاله بعض عتاة السلفيين في الشيخ القرضاوي لم يقله أي منهم في اليهود. فهل بدأوا بأنفسهم وأحرقوا التراث الشتائمي السلفي ضد الشيخ القرضاوي، هذا التراث مازال يحضر على مائدته كل من أصيب في روحه وعقله وضميره.

صحيفة (الوطن) الكويتية نشرت في ٣١ أكتوبر الماضي بياناً مشتركاً بعنوان (نصرة القرضاوي) وقّعه ٢٩ عالماً سلفياً وأستاذاً تابعاً لهم بغير إحسان من الكويت والسعودية ومصر والسودان والأردن وتونس، نصف الموقعين كويتيون ولكنهم جميعاً يتلقون تعليماتهم العقدية من المركز السلفي في نجد. العريضة تستنكر بحسب زعم الموقّعين ما تعرّض له الشيخ القرضاوي من إتهامات بالماسونية والصهيونية وغير ذلك، معتبرين أن توجيه السيد محمد المهري الكويتي هذا الإتهام له هو إباحة لدمه وزعم بكفره.

الموقّعون شدّدوا على حاجة الأمة في هذا العصر على ما يجمع كلمتها ويوحّدها على الحق، مشدّدين على أن الشيخ د.يوسف القرضاوي من الرافضين لنشر ثقافة الكراهية والوقيعة. وتساءل الموقعون عن اسباب هذا الموقف المجحف والاقصائي والعدائي ضد الدكتور القرضاوي.

ودعا الموقعون وكالة الانباء الايرانية ووكلاء المراجع الى سحب أي فتوى بكفر الشيخ القرضاوي ووصمه بأنه ناصبي، مع التوقف الفوري عن الشتائم والسباب وإعلان اعتذار رسمي للشيخ القرضاوي، ووقف كافة النشاطات المغذية للفرقة بين المسلمين، ووقف الكثير من الأنشطة المرفوضة التي تنطلق من قنوات فضائية ومواقع انترنت ووسائل إعلامية أخرى أغلبها تنطلق من إيران.

وعاتب الموقعون على البيان بعض تلاميذ وأصحاب الشيخ القرضاوي الذين (خذلوه..وقعدوا عن نصرة الحق ووقفوا مع ايران ضد شيخهم).. حيث طالب الموقعون هؤلاء كذلك بالاعتذار عن موقفهم (المشين).

من بين الموقّعين على البيان، عضو سابق في اللجنة الدائمة للإفتاء عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، الذي كان قد أعطى رأيه في الشيخ القرضاوي بلهجة موتورة. وقد أوردنا في العدد السابق بعضاً مما قاله وكتبه الوهابيون في الشيخ القرضاوي. ونعيد هناك ما قاله الشيخ إبن جبرين في الشيخ القرضاوي (لا شك أن هذا الرجل معه هذا التساهل. سبب ذلك أنه يريد أن يكون محبوباً عند عامة الناس. حتى يقولوا أنه يسهل على الناس، وأنه يتبع الرخص ويتبع اليسر. هذه فكرته. فإذا رأى أكثرية الناس يميلون إلى سماع الغناء قال: إنه ليس بحرام. وإذا رأى أن أكثر الناس يميلون إلى إباحة

> **ما قاله بعض عتاة السلفيين في الشيخ القرضاوي لم يقله أي منهم في أتباع الديانات الأخرى وحتى الوضعية فهل أحرقوا التراث الشتائمي السلفي ضده**

كشف المرأة وجهها، قال: إن هذا ليس بحرام، أنه يجوز لها كشف وجهها عند الأجانب. وهكذا فلأجل ذلك صار يتساهل حتى يرضي أكثرية الناس. فنقول لك لا تستمع إلى فتاواه، وعليك أن تحذرها وأن تتمسك بالحق وتعرفه. والحق – والحمد لله – واضح والأدلة عليه كثيرة. وكون هؤلاء – هو أو غيره – يسعون في التقريب مع الرافضة، ومع المبتدعة، حتى مع الكفار كالنصارى واليهود، هذا من زلاتهم، ولا يجوز أن نقلدهم في خطاياهم وزلاتهم).

فهل تنبّه الموقّعون إلى ما يقوله سادتهم وكهّانهم قبل أن يطلقوا موقفاً يناقض ما يعتقدوه



العوّا.. قامة اسلامية شامخة

بل وما أفصحوا عنه، حتى لا يصدق عليهم قول الله عزّ وجل (يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

في المقابل كان للعقلاء موقف آخر، ينأى عن الغرائزية غير النزيهة التي تنضح بالغيض لكل تقارب بين المسلمين أو لخمود نار الفتنة أرادوا أن تكون لهم رضى ولله فيها غضب وعقاب، وقد وجّه سبحانه دعوة للمؤمنين بالاعتصام بحبل الله (واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا..)، فبأي حديث بعد حبل الله الذي هو عاصم من كل فتنة يؤمنون.

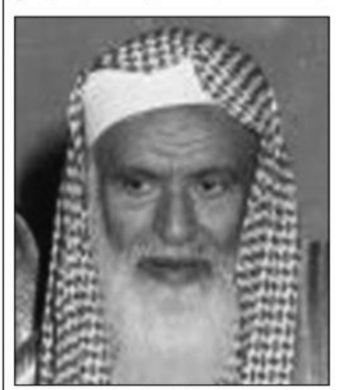
لقد سعى الثالوث الفتنوي (قناة العربية وصحيفة الشرق الأوسط وموقع إيلاف الالكتروني) في اختراق حريم التقارب بين العلماء وتأجيج الفتنة بينهم. فحين لم تتوقف أقلام الفتنة في صحيفة (الشرق الأوسط)، كانت معاول الهدم تعمل من قبل شياطين (العربية)، وحاولوا تحريك الفتنة عبر مقاربات ملغومة لما جرى في الدوحة من لقاء بين مبعوث الشيخ علي الخامنئي الدكتور علي ولايتي والشيخ الجليل يوسف القرضاوي، وتعمّدوا اقتناص فقرات من هناك وهناك في كلمات المشاركين في مؤتمري الدوحة وطرابلس الغرب كيما تكون زيتاً يسكب على نار الفتنة التي خمدت، ولكن العقلاء تنبّهوا لذلك كله، فقد اعتبر الأستاذ فهمي هويدي، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، أن ما قاله رئيس مجمع التقريب بين المذاهب في طهران

الشيخ محمد علي التسخيري في مؤتمر (الدعوة عند الله الإسلام) الذي عقد في طرابلس الغرب في ليبيا في ٣٠ أكتوبر الماضي بأنه ليس جارحاً، بل إن التسخيري اعتبر (ما حدث مع الشيخ القرضاوي هو مجرد سحابة صيف مضت إلى غير رجعة). وأكد أن إيران ترحب بزيارة القرضاوي في أي وقت، وقال: (إنها بلده دائماً ولا يمكن أن تكون غير ذلك).

أما المفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد سليم العوا فقد تأوّل حديث التسخيري بخصوص الدولة الفاطمية ووجد فيه ما يفوّت الفرصة على صنّاع الفتن، فقال إنها - أي الدولة الفاطمية - هي (الدولة التي تجمع السنة والشيعة، بهدف ترسيخ الوحدة الاسلامية باعتبار أن السيدة فاطمة هي محل إجماع المسلمين).

ولكن (العربية) سيئ مقامها إزاء هذه التصريحات الكبيرة في معانيها ومعاني أصحابها، فلم تجد ما تنقله من كلمات المشاركين في مؤتمري الدوحة وطرابلس الغرب، فيما غابت الرياض عن هذه المحافل التقريبية والحوارية، وهي التي أنفقت مالاً كثيراً على مؤتمر علماء المسلمين في مكة كي تكتسب شرعية لمؤتمر لاحق هو مؤتمر مدريد (وليس الرياض) للحوار بين الأديان، يكوناً مدخلاً للتطبيع مع الدولة العبرية.

الدكتور العوا قال بأن (هناك اتفاقا جرى تدشينه في مؤتمر علماء المسلمين الذي عقد مؤخرا في الدوحة، بأن تصفية الخلافات يجب أن تتم في جلسات العلماء وليس عبر وسائل الإعلام). في



بن جبرين: شتام يطالب بعدم الشتم!

إشارة لافتة إلى أن الإعلام (وأي إعلام) كان اللاعب الرئيسي في حلبة الخلافات بين علماء المسلمين. وكما خسرت السعودية في لبنان وربحت قطر، فقد ربحت قطر وليبيا في موضوع التقريب وتسوية الخلاف السني والشيعي، فيما تنشغل السعودية ومفاتنوها بالقضايا الخلافية التي بدا تصميم كبار الفريقين من السن والشيعة على مقاربتها بطريقة هادئة وبعيداً عن مهاترات الإعلام وأغراض أصحابها غير النزيهة.

وشدّد البيان الختامي للإجتماع على مطالب القرضاوي، حيث أكد أهمية وحدة الأمة الإسلامية بشتى مذاهبها، مطالباً في هذا الشأن بوجوب احترام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الطعن فيهم والكف عن أي محاولة للتبشير المذهبي. كما دعا البيان إيران إلى معاقبة وكالة أنباء (مهر) الإيرانية لإساءتها للعلامة الشيخ القرضاوي. وظهرت نبرة الحرص على عدم العودة بالأزمة إلى المربع الأول، في كلام د.محمد سليم العوا الأمين العام لاتحاد علماء المسلمين ردا على تساؤل طرحته عليه (العربية.نت) بخصوص ما يمكن أن تثيره تصريحات الدولة الفاطمية من هواجس التمدد الشيعي. ولكن الدكتور العوا امتنع عن الاجابة وفضّل التريث حتى يقرأ البحث الذي قدّمه الى المؤتمر الباحث المصري د.علي أبو الخير حول الدولة الفاطمية.

سعى الثالوث الفتنوي (قناة العربية وصحيفة الشرق الأوسط وموقع إيلاف الالكتروني) في اختراق حريم التقارب بين العلماء وتأجيج الفتنة بينهم

وأضاف: (أنصح بألا نفتح باب فتنة جديدة كالتي حصلت في الأسبوعين الماضيين من غير أن نعرف تفاصيل الموضوع). لكنه توقع أن (تستغل بعض المواقع المتشددة تصريحات التسخيري استغلالاً فظيعا).

في الإطار نفسه تحدث الكاتب الاسلامي فهمي هويدي، فقال لـ(العربية.نت) إن الشيخ التسخيري (تحدث عن مسألة تاريخية، فإيران كانت في الأصل دولة سنية ولم تتشيع إلا في القرن السادس عشر، والتاريخ حمّال أوجه، يقرأ من عدة صور. وعملياً أنا لا أرى فيما قاله شيئا جارحا، وأحسن الظن به). وأوضح الاستاذ هويدي أنه (يمكن النظر إلى فكرة الدولة الفاطمية بقراءة سياسية تهدف إلى دولة الوحدة الاسلامية التي نشأت في الزمن الفاطمي، والقذافي عندما دعا لتلك الدولة تبنى الموقف السياسي وليس المذهبي، ونحن نفهم ذلك لكونه زعيما سنيا).

وأشار هويدي إلى ما وصفه بالتباس حاصل حالياً في معنى التشيع (والأدق أن هناك تشيعاً سياسياً، كتأييدنا لحزب الله، وهذا لا يندرج في



هويدي: وحدة الأمة أولاً

التشيع المذهبي الذي نرفضه). واعتبر أن أزمة تصريح القرضاوي عن التمدد الشيعي (ساكتة حالياً ولا يغذيها إلا الكتابات المتشددة في بعض المواقع، لكن الأطراف المعنية نفسها لم تعد تتكلم في الموضوع، وأنا شخصيا كتبت عمودين في البداية وتوقفت، أي لا توجد تداعيات ظاهرة).

وحول مدى اقتناع الشيخ القرضاوي بالتوقف عن اثارة قضية التمدد الشيعي في هذا الوقت، قال هويدي: (الشيخ مقتنع أن هذا الموضوع ينبغي أن يظل مفتوحاً في كل وقت، لكن الكلام الذي رجوته فيه، ألا يثار على صعيد الإعلام، وله أن يتناوله في مجلس أو مؤتمر أو ندوة، وقد تكلمنا بالفعل سابقا في ذلك، ولكن ليس عبر الجرائد، وأظن أنه ملتزم بهذا حتى الآن).

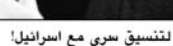
وعن فصل السلطات الايرانية للصحافي الذي وجه انتقادات حادة للقرضاوي في وكالة (مهر) شبه الرسمية قال هويدي: (أنا تمنيت على الشيخ أن يعفو عنه، فهو شاب عراقي كردي تحمس وكتب وأخطأ، لكن لا فائدة يجنيها أحد من فصله، لأن أسرته تضررت).

ليت علماء المدرسة السلفية الوهابية يقرأون ما قاله هؤلاء القامات الكبار في نفوسهم وآرائهم ومكارم أخلاقهم، فقد تأوّلوا بما فيه خير الأمة ووحدتها، ولم يفتهم حتى ما يغيب عن بال هؤلاء من لفتات إنسانية مجهولة بل ومنكرة في العقلية الوهابية، فطالبوا بتطويق الفتنة، وسحب ذيولها من الشارع ووسائل الإعلام ومحاصرتها داخل صالات المؤتمرات والندوات الخاصة المغلقة، لتفويت الفرصة على المغرضين، كما اكتفوا باجراءات تحفظ الوحدة والود في العلاقة بين المسلمين، دون افتئات طائفة على أخرى، بل وأكثر من ذلك وكما ينبىء عن ذلك الأستاذ هويدي حين تدخّل بطلب العفو على من أساء للشيخ القرضاوي وتأوّل أخطاءه وطالب بعدم فصله من عمله كيما لا يلحق الضرر عائلته. فهل وجد في الوهابية من يحمل تلك الروح الإسلامية العالية، وهل يكف أولئك الذين لم يجدوا في دين التوحيد سوى تقسيمه على أساس الإيمان والكفر بغياً بغير علم ولا كتاب منير، ونسي هؤلاء سر بعثة المصطفى عليه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).



لحوار علني مع اسرائيل!





لتنسيق سري مع اسرائيل!

تناغم بين تل أبيب والرياض

علاقات علنية وسرية تمهيداً للتطبيع

عمر المالكي

باتت خارطة العلاقات السعودية الإسرائيلية تكشف أسرارها بصورة تدريجية، فلم يعد الأمر غامضاً بدرجة كبيرة بالنسبة للمراقبين لموضوع العلاقات بين الرياض وتل أبيب. فبعد أن كان اللقاء بين مسؤولين إسرائيليين وسعوديين يتم في الغرف المغلقة، جاء البيان السعودي في ١٣ تموز ٢٠٠٦، أي بعد يوم من بدء العدوان الإسرائيلي على لبنان ليختطف إنتباه المراقبين لنوع العلاقة بين العائلة المالكة والدولة العبرية، فلأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي يصدر بيان من دولة عضو في الجامعة العربية يغطي عدواناً إسرائيلياً سافراً على دولة عربية أخرى، ولابد أن ثمة وراء الأكمة ما وراءها!

لم يكن مجرد موقف سياسي عابر من عملية محدودة، فقد فتح البيان العيون والآذان لمتابعة خلفية الموقف السعودي، والذي بدأ يتكشّف تدريجياً بعد لقاء العاصمة الأردنية عمان بين مسؤولين كبار في الدولة العبرية والأمين العام لمجلس الأمن الوطني الأمير بندر سلطان، والذي شكّل، أي اللقاء، فاتحة للقاءات سرية وعلنية تكون الأردن محوراً وحاضناً لها.

ما ظهر بعد ذلك، أن تقاسماً للأدوار بين الأميرين تركي الفيصل، رئيس الإستخبارات العامة سابقاً والسفير السابق في واشنطن، والأمير بندر بن سلطان رئيس مجلس الأمن الوطني والسفير الأسبق في واشنطن. وبحسب مصادر سياسية عربية أصبح الأمير تركي الفيصل الذي لا يضطلع ظاهراً بأي منصب رسمي، يدير اللقاءات العلنية مع المسؤولين الإسرائيليين تحت غطاء الندوات والمؤتمرات الأكاديمية، فيما يقوم الأمير بندر بن سلطان بإجراء إتصالات سرية ذات طابع أمني مع مسؤولين إسرائيليين ينتمون في الغالب الى جهاز الموساد، وتتحدث المصادر هذه عن علاقات وثيقة تربط الأمير بندر برئيس جهاز الموساد مائير داغان، ومدراء كبار في الجهاز نفسه.

ليست مؤتمرات (حوار الأديان) سوى إحدى الحلقات العلنية في العلاقات السعودية الإسرائيلية، حيث يجري العمل على تطبيع العلاقات عبر الدالين: دولي، وديني، بحسب توصيف مصدر سياسي عربي. في الجانب الإسرائيلي يتصاعد الرهان على الرياض كيما تقوم بما وعدت به منذ زمن بعيد بأنها الطرف المؤهّل لفتح الأبواب أمام الإسرائيليين للدخول الى العالم العربي، ما جعل الإسرائيليين يستعجلون تحقيق الوعد السعودي.

اللقاءات العلنية التي كان يحضرها الأمير تركي الفيصل في واشنطن بحضور أعضاء ناشطين في الجماعات اليهودية في الولايات

المتحدة ليست مكتومة، بل جرت العادة على التعاطي معها بطريقة اعتيادية، باعتبار أن اللقاءات تتم بحضور آخرين من جماعات مختلفة، بالرغم من أن اللقاءات لا تخلو من أحاديث خاصة، وقد ورث السفير السعودي الحالي عادل جبير تلك العادة من سابقيه الأميرين بندر بن سلطان وتركي الفيصل، بالرغم من أن الأول فضّل في السنوات الأخيرة الاجتماعات السريّة التي تجري على مستويات عليا في الدولة العبرية وتتكرّس غالباً لمناقشة الموضوعات الأمنية، وتتخذ من الأردن قاعدة لها.

بالنسبة للأمير تركي الفيصل فإن الأمر مختلف الى حد ما ويتعلق عادة بموضوع التطبيع مع الدولة العبرية عبر لقاءات مفتوحة تتخفف فيها الجرعة السياسية ويسبغ عليها النقاش الثقافي والأكاديمي وإن بخلفية سياسية. بالرغم من أن حتى اللقاءات المفتوحة لا تخلو من مجازفة أحيانا، خصوصاً في بيئة عربية مازالت متخاصمة مع الدولة العبرية حيث تتزايد القناعات باستحالة السلام معها في ظل الاقترافات الوحشية ضد الشعب الفلسطيني سواء عبر الحصار أو قصف المباني السكنية وهدم البيوت وقتل المدنيين.

على أية حال، لم يشأ الأمير تركي الفيصل أن يتم تداول خبر مشاركته في أول لقاء علني مع الاسرائيليين في أكسفورد في السابع عشر من أكتوبر الماضي. وكانت صحيفة (القدس العربي) الصادرة في لندن قد كشفت خبر اللقاء في الثامن عشر من أكتوبر وذكرت بأن الاجتماع الذي دعت اليه مجموعة أكسفورد للأبحاث شارك فيه من الجانب الاسرائيلي الأكاديمي والمستشار السابق للحكومة الاسرائيلية دان روتشيل وعدد آخر من الباحثين الاسرائيليين المهتمين بشؤون الشرق الاوسط.

وحضر اللقاء من الجانب العربي السيد نبيل زكي مدير مكتب السيد عمرو موسى امين عام جامعة الدول العربية، ومثّل الجانب المصري نبيل فهمي السفير السابق في واشنطن، بينما مثل الجانب الفلسطيني العقيد جبريل الرجوب مسؤول الامن الوقائي السابق ومستشار الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات. وأشرفت على ترتيبات الاجتماع الناشطة الاكاديمية اليهودية البريطانية غبرائيل ريفكند.

وبالرغم مما قيل عن مشاركة الأمير تركي الفيصل بصفته الشخصية وليس ممثلاً عن حكومة بلاده، إلا أن المراقبين للشأن السعودي يدركون تماماً بأن خطوة بهذا المستوى لا يمكن أن تتم من دون تنسيق مع أعلى المستويات في العائلة المالكة، خصوصاً في موضوع بالغة الحساسية ويرتبط بمبادرة الملك عبد الله للسلام مع الدولة العبرية.

الجدير بالذكر أن ورقة الأمير تركي الفيصل في الإجتماع جاءت متطابقة مع الرؤية السعودية الرسمية كما عبّر عنها الملك عبد الله في ورقته ـ المبادرة، والتي تنص على الإنسحاب الإسرائيلي الى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة، وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (وفق التعديل الأخير أي اعتماد مبدأ التعويضات)، قبل أي تطبيع مع الدولة العبرية.

صحيفة (الغارديان) البريطانية نقلت في ٢٠ أكتوبر الماضي أن تركي الفيصل دعا الجانب الإسرائيلي إلى (الإنصات جيداً لما تحتوي عليه المبادرة العربية والرد عليها بصورة إيجابية)، مشيراً إلى أن (الدول العربية ستدفع ثمن السلام، لا بالإعتراف بإسرائيل ككيان شرعي في المنطقة فقط، ولكن أيضاً بتطبيع العلاقات معها وإنهاء حالة العداءات القائمة منذ عام ١٩٤٨).

يتصاعد الرهان الإسرائيلي على الرياض كيما يتحقق الوعد السعودي بفتح أبواب التطبيع أمام الإسرائيليين للدخول الى العالم العربي

وحاول العقيد جبريل رجوب الذي كان حاضراً في الإجتماع أن يمرر تحذيراً مبطناً من الاقدام على خطوة انفرادية تقوم بها السعودية على طريقة السادات، وقال بأن (اكبر غلطة يرتكبها زعيم عربي هي أن يذهب الى تل أبيب دون ضمانات محددة. فحالة السادات كانت مختلفة، حيث حصل على تعهد تحت الطاولة بالإنسحاب من سيناء قبل زيارته للقدس المحتلة).

الجانب الإسرائيلي الذي بدا مرتاحاً هذه المرة للمبادرة السعودية (العربية) والتي وصفها بالهامة، طالب العرب بخطوات تطبيعية أكبر، وإجراء إتصالات مباشرة وعلنية مع الحكومة الإسرائيلية لبحث آليات تفعيل المبادرة وتطبيقها. ولا يمكن تصوّر إشارة يطلقها الإسرائيليون تحت مسمى العرب لا يعنى بها السعوديون، الذين يديرون حالياً مشروع التطبيع تحت غطاء (حوار الأديان)، والذي يهيء لمناخ تطبيعي عالي الفعالية وبحضور شخصيات دينية سلفية على أعلى المستويات، بمن فيهم المفتي العام للمملكة.

أما اللقاءات العلنية التي يطالب بها الجانب الإسرائيلي مع العرب، فهي الأخرى تشير إلى السعوديين، الذين فضّلوا لسنوات طويلة أن تكون العلاقة مع الإسرائيليين محفوفة بالسرية التامة، وقد جاء الوقت الذي يبدي فيه السعوديون مرونة كبيرة من أجل إزالة السرية عن تلك العلاقة، عبر لقاءات إحتفالية (التصوير أمام الكاميرات) قبل الانتقال الى الاجتماعات العلنية لمناقشة قضايا محددة مرتبطة بعملية السلام والتطبيع بأشكاله الثقافية والاقتصادية والسياسية، وأخيراً الدخول في تحالفات علنية..

من اللافت بعد يوم من نشر خبر اللقاء السعودي الإسرائيلي في أكسفورد، أي في التاسع عشر من أكتوبر الماضي، أعلن كل من رئيس الدولة العبرية شمعون بيريز ورئيس حزب العمل ووزير الدفاع إيهود بارك عن استعدادهما لمناقشة خطة السلام السعودية الشاملة. وقال باراك في حديث لإذاعة الجيش الإسرائيلي بأن (هناك متسعاً في الائتلاف الإسرائيلي للمبادرة السعودية، فلدينا مصلحة متبادلة مع الجهات العربية حول شؤون إيران وحزب الله وحماس). كما نقلت صحيفة (هآرتس) تأييد الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز تأييد التفكير بالإتفاقية.

لقد فتحت الخطوات السعودية الباب أمام خطوات مماثلة إسرائيلية، وبدأ بيريز صاحب نظرية (مشروع الشرق الأوسط) الذي يؤسس لتطبيع شامل بين الدولة العبرية والعرب، بالتسويق لـ (سلام إقليمي) على قاعدة أن التسوية على أساس المسارات المنفردة لم تحقق النجاح المطلوب، وبات من الضروري إشراك العرب جميعاً في صنع الإجماع المطلوب للسلام مع الكيان الإسرائيلي، من خلال تعزيز مواقع الدول العربية (المعتدلة)، ممثلة في مصر والإردن (اللتان وقّعتا اتفاقيات سلام مع الدولة العبرية) والسعودية إضافة الى عدد من دول الخليج.

وكانت رئيسة حزب (كاديما) تسيبي ليفني، قد أعربت منذ كانت عضواً في حزب الليكود عن تأييدها لمبادرة السلام السعودية. وهاهي اليوم تتمسك بموقفها في تأييد المبادرة بعد فوزها برئاسة (كاديما) مع رفضها القاطع لبند اللاجئين الوارد في المبادرة، وكذلك موضوع الجدول الزمني المحدد فيها، كمقدمة للتطبيع بين العرب والكيان الإسرائيلي.

لاشك أن الحماس الإسرائيلي للمبادرة السعودية وخصوصاً في الفترة الأخيرة يبعث جدلاً ممتداً في الأوساط الإعلامية والسياسية. فقد كتب رئيس تحرير صحيفة (القدس العربي) عبد الباري عطوان إفتتاحية في ٢١ أكتوبر الماضي تناول فيها خلفيات الحماس الفجائي في الدولة العبرية حيال المبادرة السعودية، أي بعد ست سنوات على إطلاقها. ويعتبر عطوان هذا الحماس بأنه يترجم تحوّلاً أساسياً في الموقف الإسرائيلي (فالحكومة الاسرائيلية الحالية، مثل كل الحكومات السابقة، ظلت تماطل في ردها على هذه المبادرة، وتطالب العرب بالتطبيع أولاً، قبل أي نقاش جدي بشأنها، بل انها ذهبت الى ما هو ابعد من ذلك عندما طالبت الزعماء العرب، والعاهل السعودي الملك عبدالله بن عبد العزيز، على وجه الخصوص، بالتوجه الى القدس المحتلة لطرحها امام الكنيست (البرلمان) الاسرائيلي، أسوة بالرئيس الراحل محمد انور السادات).

هذا التحوّل لم يكن بريئاً بحسب عطوان بل يصفه بأنه (طبخة جديدة)، يجري الإعداد لها بشكل متسارع، (إبتداء من الزيارة التي سيقوم بها الرئيس الاسرائيلي بيريس الى شرم الشيخ (الشهر الماضي) للقاء نظيره المصري حسني مبارك، عراب السلام، وزعيم محور دول الاعتدال العربي الذي يضم بلاده، علاوة على دول الخليج الست والاردن).

ويرجع عطوان أسباب الحماس الإسرائيلي المفاجىء للمبادرة السعودية إلى: تكهّنات سابقة بسقوط المحافظين الجدد وصول الديمقراطيين الى سدة البيت الأبيض، على أساس أن (الرئيس الأمريكي جورج بوش.. يعتبر أكثر الزعماء الأمريكيين ولاءً للدولة العبرية، وخدمة لمصالحها). ثانياً، إنعكاس الأزمة المالية الحالية على اللوبي الإسرائيلي (الذي يستخدم المال سلاحاً سياسياً في الهيمنة على الحكومات الغربية)، ثالثاً وجود قناعة راسخة في أوساط أمريكية وغربية عديدة، بأن الحرب على الارهاب مكلفة للغاية ولا أفق لنجاح حروب أمريكا في أفغانستان والعراق (وهذه الخسارة التي باتت وشيكة جداً، ستؤدي إلى حدوث انقلاب في المعادلات الاستراتيجية الدولية)، خامساً: حرب تموز (يوليو) عام ٢٠٠٦ اللبنانية اثبتت سقوط نظرية التفوق العسكري الاسرئيلي أمام قوات عقائدية غير نظامية، وانتهاء دور التفوق الجوي في حسم الحروب أمام التطور النوعي في القدرات الصاروخية في المقابل. سادساً: امتلاك العرب، والخليجيين منهم خاصة، أوراقا استراتيجية كبرى سيكون لها تأثير عالمي اذا ما استخدمت بحكمة، ابرزها عودة سلاح البترول إلى فاعليته السابقة.

ويختم عطوان مقالته بالقول (نحن أمام خديعة جديدة، ربما تصبح أكثر خطورة من كل الخدع السابقة، لانها ستؤسس لحلف جديد، تكون اسرائيل زعيمته، يقسم المسلمين على اسس طائفية، ويشعل فتيل حرب بين العرب والايرانيين ربما تنتهي بتدمير او اضعاف الطرفين، وبما يؤدي الى تقوية اسرائيل وهيمنتها الكاملة على المنطقة، بعد ان ادركت ان الغرب بدأ يدرك كم هي عبء مكلف على كاهله امنيا وسياسيا واقتصاديا).

بدا الإسرائيليون مرتاحين هذه المرة للمبادرة السعودية للسلام، ولابد أن تنازلات كبيرة حصلوا عليها بما فيها اضطلاع السعودية بمهمة التطبيع

وكان شمعون بيريز قد أكّد في مؤتمر صحافي عقده مع نظيره المصري حسني مبارك في ٢٣ أكتوبر الماضي بأن (السلام لم يكن أبدا ممكناً في السنوات الماضية مثلما هو الآن، ومن الخطأ ان نضيّع مثل هذه الفرصة).

من جهة ثانية، نقل موقع (المنار) الفلسطيني على شبكة الإنترنت في ٢٣ أكتوبر عن مصدر دبلوماسي عربي رفيع المستوى في العاصمة الامريكية أن (ورشة عمل) بدأت أعمالها في الأسبوع الأول من أكتوبر الماضي في واشنطن بمشاركة شخصيات رسمية وخبراء في شؤون الشرق الاوسط من السعودية ودول عربية أخرى واسرائيل والولايات المتحدة، وشخصية فلسطينية مع إثنين من مستشاريه، من أجل (تعديل) المبادرة العربية، وتطويرها كما يقول المصدر، لتكون أساسا للعملية السلمية الشاملة التي ستنطلق مع ولادة الإدارة الامريكية الجديدة.

وقال مصدر رسمي أمريكي للموقع أن شخصيات اسرائيلية تشارك في هذه الورشة من بينها مستشار رفيع المستوى لمسؤول اسرائيلي كبير، وأن هذه الورشة تبحث في البنود المختلف عليها، والتي شكلت سببا لرفض اسرائيل لها قبل سنوات، عندما طرحتها السعودية في قمة بيروت وتحولت فيما بعد الى مبادرة عربية ، وذكر المصدر أن ورشة العمل هدفها الخروج بمسودة معدلة للمبادرة تطرح فيما بعد في اجتماع قمة يشارك فيها القادة العرب، أو على مستوى وزراء الخارجية لاعتماد التعديلات، وتعرض في نفس الوقت على الجانب الاسرائيلي للمصادقة عليها، واضاف المصدر أن الاطراف ذات العلاقة ستقوم خلال الاسابيع القادمة باطلاق بعض (بالونات الاختبار) حول البنود المتعلقة بمسألة اللاجئين وتسريب معلومات عن الادارة المشتركة المحتملة لمدينة القدس بهدف التعرف على صدى ورد الفعل على هذه التسريبات في الساحتين العربية والاسرائيلية.

وكشف المصدر للموقع المذكور بأن لقاءً سعودياً إسرائيلياً سرياً عقد في الولايات المتحدة قبل انطلاق ورشة العمل تدارس فيه الجانبان تعديلات مقترحة، حملها رئيس الوفد الاسرائيلي الى تل ابيب، وكان لقاء آخر حول نفس الموضوع قد عقد قبل ذلك بين العاهل السعودي ورجل أعمال يهودي أمريكي قام بزيارة الرياض لتشجيع السعودية على قيادة التيار العربي المطالب بتعديل المبادرة العربية للسلام، والتي كانت السعودية قد طرحتها في القمة العربية ببيروت سنة ٢٠٠٢.

وأكد المصدر لـ (المنار) الفلسطينية أن الهدف من ورشة العمل المنعقدة بواشنطن التوصل في نهاية المطاف إلى مسودة معدلة تعرض بعد المصادقة عليها عربيا وإسرائيليا على الادارة الامريكية بشكل مشترك أو فردي من خلال الخروج بإعلان ودعوة الى الجانب الامريكي والادارة الجديدة فور تسلّمها السلطات لتقوم برعايتها، واشار المصدر الى أن المرحلة القادمة سوف تشهد تحركات لتمرير التعديلات، التي تفرضها التغيرات.

مؤتمر (حوار الأديان) وخسران السعودية

تصويب المواجهة باتجاه إيران بالتعاون مع إسرائيل

عبد الوهاب فقي

دولة تحتضن أهم المقدسات الإسلامية، وتمثل العالم الإسلامي، وتدعي أنها تطبق الشريعة.. دولة بحجم السعودية المالي والديني والسياسي، خرجت خاسرة من مؤتمر نيويورك للأديان.

مقياس الخسارة نلمسه في أمرين أساسيين:

الأول، أن السعودية أضافت الى انحطاط سمعتها بين العرب والمسلمين الكثير. والسمعة السعودية تنعكس على نفوذ السعودية في العالم الإسلامي، وانهيار تلك السمعة المتزايد يوماً بعد آخر، لا شك أنه يقلص من ذلك النفوذ، ويحط من تلك المكانة. والسعودية خسرت خلال السنوات العشر الماضية الكثير من سمعتها، ولا نريد أن نعود الى خسارتها في عام ١٩٩١، ابان حرب تحرير الكويت وقدوم القوات الأجنبية الى أراضي السعودية.

في السنوات الماضية خسرت السعودية شيئاً فشيئاً معظم رصيدها الشعبي، سواء بسبب موقفها المتخاذل في أفغانستان، وقيادة الحرب الأميركية من قاعدة في الرياض، أو بسبب موقفها من العراق، وزادت الخسارة بسبب موقفها الممالىء للصهاينة في حرب تموز ٢٠٠٦م، ثم خسرت شعبياً بسبب موقفها ضد دمشق، وبسبب غيابها عن ساحات تحتاجها مثل الصومال وغيرها. وحتى الباكستان التي يتمتع السعوديون ومذهب الوهابية فيها بزخم شعبي، تقلصت المكانة السياسية للسعودية بين الأحزاب والتجمعات الى حد كبير.

ويأتي مؤتمر نيويورك، ليسوّد وجه الحكام السعوديين، فهذه القضية لا علاقة لها بصراع طائفي تستثمره السعودية وتحرك مشاعر الجمهور المسلم من خلاله باتجاهات تخدم الموقف السعودي. بل أن الفرز صار واضحاً سياسياً. أميركا والسعودية واسرائيل والأنظمة الأخرى في جهة، مقابل شعوب تكره هؤلاء جميعاً، كما تكره مؤسسة الأمم المتحدة ومجلس الأمن غير المحايد تجاه القضايا العربية والإسلامية.

ربما (يبيّض) المؤتمر وجه آل سعود كسلطة سياسية بين دول العالم، خاصة الغربية، كون السعودية تظهر بوجه منافق غير وجهها الحقيقي، فتزعم التسامح والحوار. ولكن الخسارة أكبر من ذلك بكثير.

ثانياً، إن العائلة المالكة القلقة من موقف الغرب إزاءهــا، وتراجع اهتمام الغرب بها من الناحية السياسية للمساهمة في حل أزمـات المنطقة ضمن الوجهة الغربية، مع إبقائها (بقرة حلوباً) في المضمار الإقتصادي والمـالي.. هذه العائلة تريد إعادة الإعتبار لنفسها، وإعادة تأكيد مكانتها ومشروعيتها الخارجية، خاصة وأنها تعرضت لحملات انتقاد لتخلف نظامها السياسي والقضائي، ولانتهاكاتها المستمرة لحقوق الإنسان.

وهنا جاء مؤتمر نيويورك ليحل هذه الجزئية من الأزمة التي يواجهها النظام. اي الأزمة مع الخارج (الدولي).

لكن مؤتمر نيويورك ساهم في تآكل رصيد النظام ومشروعيته الداخلية. فهناك إجماع محلي على رفض المؤتمر حتى من الطبقة اللصيقة بالنظام نفسه. الإجماع السياسي الشعبي يرفض المؤتمر، ويرفض تطبيع العلاقات مع اسرائيل، ويرفض اية خطوة في هذا الإتجاه، خاصة وأنها تترافق مع حملة مسعورة من السعودية ضد المقاومة الإسلامية في فلسطين ولنهج المواجهة مع اسرائيل.

الحكم السعودي اليوم في أدنى مراتب تقلص مشروعيته الداخلية. فالجمهور العام يئن من وطأة الغلاء، ومن انهيار سوق المال، ومن تزايد عدد الفقراء (٣٠٪ تحت خط الفقر، ومجموع الفقراء يزيد عن نصف الشعب، و٥٥٪ من الشعب بلا مساكن، ومليون ونصف المليون عاطل عن العمل). زد على ذلك، فإن مكانة النظام السياسية مهزوزة، فلا إصلاحات ولا حريات، ولا تغيير إلا الى الأسوأ. ومن المؤكد أن اهتزاز مشروعية الحكم ستنعكس على الإستقرار السياسي بصورة أو بأخرى.

إجماع عربي وإسلامي على رفض المؤتمر

كان واضحاً منذ البداية ذلك الجانب السياسي التطبيعي للمؤتمر، حيث احتل السياسيون واجهته، فيما توارى رجال الدين الرسميون الى الخلف، بالرغم من أن الحوار ديني، ويعنى بالقيادات الدينية. وقد لوحظ أن عدد حضور الشخصيات الدينية أقل مما كان في مؤتمر مدريد، حتى من بلد المضيف (السعودية) فيما اعتذرت شخصيات دينية عديدة عن الحضور، خشية من (التلوث السياسي) خاصة بعد الجدل الذي أثير حول المؤتمر. فقد انتقد سليم الحص، رئيس الوزراء اللبناني الأسبق السعودية لتبنيها المؤتمر، ثم تراجع بسبب الضغط السعودي، ثم عاد مرة أخرى منتقداً إياه مرة أخرى، كما انتقد السعودية نجاح واكيم، النائب اللبناني السابق، وشخصيات دينية سنية في لبنان، كما انتقده حزب الله في بيان له، ثم جاء السيد حسن نصر الله فألقى خطابا دعا فيه الدول العربية (لمنع القتلة مرتكبي جرائم الحرب من حضور المؤتمر، فما صلة بيريز مرتكب المجازر وليفني وغيرها من الصهاينة بالأديان). وأكّد نصر الله على (أن إسرائيل هي دولة مجرمة عنصرية إرهابية، والحركة الصهيونية هي حركة



عبد الله وبيريز، لم يتصافحا علناً.. ولكن..

عنصرية، إلا إذا تخلت الجامعة العربية عن هذا التوصيف). ودعا نصر الله العرب (للعمل على طردهم ـ الصهاينة ـ من المؤتمر أو أن يقف بيريز للتحدث عن حوار الأديان، وفي أي زمن؟ في الزمن الذي يشدد فيه الحصار على أكثر من مليون ونصف مليون فلسطيني في غزة؟ في اليوم الذي تتزايد فيه إعتداءات الصهاينة على الفلسطينيين في الضفة، يكرم بيريز ويقدم له منبر حوار الديان).

وكانت جماعة (الإخوان المسلمون) المصرية قد انتقدت المؤتمر بشدة، ووصفه عضو مكتب الإرشاد في الجماعة الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح بأنه (مؤتمر سياسي بامتياز، لا دخل للأديان فيه، والحاضرون هم سياسيون، وهو المحطة الثالثة في سلسلة من المؤتمرات التي تنظمها قيادة السعودية لتبييض صورتها بعد أحداث ١١/٩).

واستنكر ابو الفتوح بشدة الزج بالدين في حملة وصفها بأنها من (طبيعة العلاقات العامة) وقال: (أنا أفهم أن من حق السعودية أن تدافع عن نفسها وتبيض صورتها، لكنني لا أفهم حقيقة لماذا يتم الزج بالأديان.. ليس بإسم الدين الذي هو بعيد كل البعد عن هذه المؤتمرات، إذ لا معنى أصلاً لرفع شعار حوار الأديان). واستبعد أبو الفتوح أن يكون للمؤتمر أي مردود سياسي إيجابي لصالح العرب والمسلمين، ورأى في حضور شخصيات سياسية اسرائيلة تحقيق (مكاسب للصهيونية العالمية وللأمريكيين لجهة التطبيع مع العالم الإسلامي، لكنه لن يحقق شيئاً لصالح العرب والمسلمين).

وإزاء الحملات السياسية ضد المؤتمر، اضطر عبد العزيز الخوجة، السفير السعودي في لبنان، الى القول بأن السعودية لم تدعو اسرائيل الى المؤتمر وإنما الأمم المتحدة هي من وجه الدعوة. ولكن العالم يعرف بأن السعودية وراء المؤتمر وهي التي ستدفع تكاليفه، بما فيه تكاليف الوفد الإسرائيلي، وأن ما جرى من جهة توزيع الدعوات، لا يعدو تحايلاً سعودياً، بحيث يتبنى السعوديون المؤتمر، وتقوم الأمم المتحدة بتوجيه الدعوات بالنيابة ويكون تحت مظلتها.

وحين تزايدت الإنتقادات بشأن احتمال لقاء مصافحة بين الملك عبدالله وبيريز، وكيف أن وجبة العشاء ستضمهما معاً، وأن الملك السعودي سوف يستمع لخطاب بيريز، سربت السعودية خبراً الى صحيفة الوطن السعودية نشرته يوم بدء المؤتمر يقول على لسان مصدر سعودي رسمي، بأن الرئيس الإسرائيلي أبلغ من قبل مسؤولين في الأمم المتحدة ألا يحاول مصافحة الملك عبدالله قبل أو بعد الكلمة التي سيلقيها الملك في الجمعية العمومية. وزعم المصدر السعودي بأن الإجتماع ليس سياسياً وإنما ديني في محاولة منه إخفاء طابع التطبيع الواضح بين العرب والمسلمين من جهة وبين الكيان الصهيوني. وأضاف المصدر بأن الاجتماع لا يهدف إلى حل الصراع العربي الإسرائيلي وإنما يتوجه إلى أهداف أكبر بتعزيز التعاون بين أتباع الأديان وجعل الأديان سببا للتعاون والاتفاق!.

وكان الملك السعودي قد اجتمع على حاشية المؤتمر مع وفد من الشخصيات العامة ورجال دين كبار، بينهم زعماء يهود. وكان من بين اليهود الذين تلقوا دعوات للقاء الملك السعودي، قياديي الكونغرس اليهودي العالمي، رونالد لاودر والحاخام الأرثوذكسي مارط شنيؤر. ولم تستبعد مصادر عربية مغربية واسرائيلية أن يلتقي الملك السعودي بالرئيس الإسرائيلي بعد انتهاء المؤتمر، خاصة وان أنباءً تحدثت عن وساطة مغربية ومصرية لعقد لقاء بين الطرفين، وهو ما أكدته صحيفة يديعوت أحرنوت الصهيونية، التي أضافت: (يبدو أن السعوديين والإسرائيليين سيهتمون خارج قاعات المداولات بالخطوات السياسية ومبادرة السلام، في ضوء تزايد الحديث الإسرائيلي عن الاستعداد للتفاوض على أساس المبادرة العربية). ولفتت النظر إلى أن (التقدير هو أنه في حال عقد لقاء بين بيريز والملك السعودي أو مع مستشاريه الكبار، فستبحث السبل لتحريك المبادرة السعودية).

بيريز يخطب والملك والعرب يستمعون

خطاب الملك عبدالله في المؤتمر، كان عادياً. كلام منمق مكتوب بعناية، تطغى عليه الشعارات الإنسانية، التي لا يؤمن بها معظم المؤتمرين بمن فيهم القارئ، وهو الملك، الذي لم يكن يجيد ما يقرأ، كما هي العادة، ووقع في عشرات الأخطاء النحوية، وكاد (يخربط) في قراءة الآية التي اختتم بها خطابه.

لكن هذا لم يبعد الموضوع السياسي، فقد جاء في خطاب الملك دعوته إلى قيام جبهة موحدة ضد الإرهاب (عدو كل الأديان) وإلى تشجيع التسامح بينها. وهذه الدعوة جدير بالملك أن يعمل بها في بلده، حيث الوهابية عدوة الأديان، وعدوة التسامح والحوار حتى مع المواطنين المسلمين من اكثرية الشعب السعودي، هذا اذا كنا اعتبرنا الحاضرين أصلاً ممثلين للأديان، إن لم يكونوا في الواقع أعداءها ومستغليها خدمة لأغراضهم السياسية.

السعودية تحاول استكشاف دورها الدولي، وهي تريد أن تكون رأس حربة في (مشروع مكافحة الإرهاب) مثلما كانت في السابق رأس حربة في مكافحة الشيوعية التي انتهت. سبب انتهاء الشيوعية تقلصاً لدور السعودية الإقليمي والدولي، وكانت هنك صعوبات ولاتزال في ان تلعب السعودية دوراً في محاربة الإرهاب بنسخة المشروع الأميركية، لأن السعودية قائمة على أيديولوجية إرهابية فرخت الإرهاب الذي يشكو منه الغرب كما يشكو منه العرب. فهل تستطيع السعودية مكافحة ذاتها أيديولوجيا، وحلفاءها الايديولوجيين الوهابيين الذين يشاركون في العنف في كل مكان في الدنيا، فيما تحتضنهم داخلياً وتزيد من تسمينهم وتقويتهم لمكافحة خصومها المحليين عبر التكفير والتهديد بالقتل؟

لم يصدق أحد أن السعودية جادة أو حتى قادرة على مكافحة الإرهاب الذي انطلق من بيئتها، كما لم يصدق حلفاء السعودية أنفسهم أن السعودية صارت دولة متسامحة حتى مع مواطنيها فضلاً عن أن تكون متسامحة مع الأديان الأخرى. لهذا - وقبل المؤتمر العتيد - أصدرت منظمة هيومان رايتس ووتش بياناً في ١١/١١/٢٠٠٨ دعت فيه قادة العالم لممارسة ضغوط على الملك السعودي لإنهاء التمييز الطائفي والديني المنظم في السعودية. وقالت سارة ليا ويتسن من المنظمة: (لا توجد حريات دينية في المملكة العربية السعودية، ومع ذلك تطالب المملكة العالم بأن يستمع إلى رسالتها حول تسامح الأديان)، وأضافت: (الحوار يجب أن يكون حول الأماكن التي يتعمق فيها التعصب الديني، وهذا يشمل العربية السعودية). وانتقدت المنظمة عدم تسامح السعودية مع مواطنيها والمقيمين الذين يمارسون معتقداتهم المختلفة، أو الإسلامية منها التي لا ترضى عنها الوهابية.

وأشارت المنظمة الى تقريرها المطول الذي أصدرته في سبتمبر الماضي عن (الإسماعيليين) في السعودية الذين يبلغ تعدادهم نحو مليون نسمة، والذين يواجهون تمييزاً رسمياً في الوظائف الحكومية، ويقوم كبار المسؤولين علنا بالانتقاص من ولائهم، ويحظرون عليهم القيام بتعليم معتقدهم الديني أو بناء مساجد جديدة لهم. كما يتم التمييز ضد الإسماعليين ضمن القانون الديني المطبق في النظام القضائي السعودي بأكمله. وسبق أن قام القضاة الوهابيون بمنع المحامين من الطائفة الإسماعيلية من دخول قاعات المحاكم وقاموا بتطليق رجل إسماعيلي من زوجته السنية معتبرين أن الرجل غير ملائم دينياً لها.



من إيجابيات المؤتمر!

وأشارت المنظمة الى معاناة شيعة سعوديين من غير الطائفة الإسماعيلية أيضاً من تمييز مُنظم لسنوات طويلة، فهناك نحو مليوني سعودي من الشيعة الاثني عشريين يعيش أغلبهم في المنطقة الشرقية. وفي أكتوبر/تشرين الأول قام عالم دين سعودي له أتباع في أرجاء المملكة بإطلاق فتوى دينية يُحرم فيها على المسلمين السنة بيع ممتلكاتهم إلى الشيعة (لأن في هذا مساعدة لهم في إظهار دينهم الفاسد وعقيدتهم السيئة).

وأخيراً قالت سارة ليا ويتسن: (على المملكة العربية السعودية أن تمارس داخلياً ما تعظ به في الخارج).

حتى البيت الأبيض، لم يعر بالاً لدعوات عبدالله التسامحية في خطابه للمؤتمرين. فقد أعلن أن العاهل السعودي يعرف أن (أمام بلاده طريقاً طويلاً لتحقيق تسامح الأديان). وقالت دانا بيرينو المتحدثة باسم البيت الأبيض في رد على سؤال حول حظر السلطات السعودية ممارسة شعائر أديان أخرى غير الإسلام، بأن بوش يرحب بالمؤتمر ولكنه (يعتقد أن ملك السعودية قد أدرك أن أمام بلاده طريقا طويلا، وإنه يحاول القيام ببعض الخطوات في هذا الاتجاه).

المتميز الذي كال المديح لآل سعود ولاعتدالهم وتسامحهم، هو الرئيس الإسرائيلي، فحين وقف على منبر الأمم المتحدة ليخطب، في حين ان الملك السعودي والوفود العربية تستمع (والعادة هي أن يقوموا بمغادرة القاعة!)، قال بيريز مخاطباً الملك عبدالله: (صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية، لقد استمعت لرسالتك، وآمل أن يصبح صوتك هو السائد في المنطقة كلها بين كل الشعوب، فهو على صواب، وهناك حاجة إليه وهو واعد). وفي المؤتمر الصحافي قال بيريز: (نشهد اليوم بداية قصة جديدة لا نهاية قصة. المؤتمر غير مسبوق لأن السعودية تمثّل الصوت العربي المحترم كثيراً. مبادرة الخرطوم القائمة على اللاءات الثلاث حلت محلها المبادرة السعودية التي أصبحت المبادرة العربية).

وأضاف بيريز: (المبادرة العربية مبادرة إسلامية لأن العالم الإسلامي دعمها... إننا جديون، بنينا جيشاً قوياً. بفضل الجيش القوي، اختار العرب الجيران التوجه إلى السلام. الحرب لا تحل محل الديموقراطية. العالم العربي منقسم بين مذاهب من سنة وشيعة). وتابع: (ليست هذه المرة الأولى التي نلتقي بها مع الملك عبد الله. بل تم ذلك سابقاً في الجمعية العامة العام الماضي. ونحن نعيش في ديموقراطية، والأساس هو أن نكون مختلفين. لقد خاطبت الملك مباشرة لا سراً. الملك يريد أن يبني تفاهماً بين العرب واليهود، وهو يواصل أداء دور مرموق في العالمين العربي والإسلامي). وختم بيريز حديثه بالقول: (إن ما يجمع العرب واليهود: الأنبياء المشتركون والأصل المشترك).

مؤتمر السعودية تظاهرة ضد إيران

السعودية مشغولة بإيران، أكثر مما هي مشغولة بأي موضوع آخر، لا فلسطين ولا العراق ولا أفغانستان.

عدم وجود أفق حل للقضايا العربية والإسلامية، يجعل من إيران حاضرة فيها كلها وبطريقة منافسة للنهج السعودي الخانع في أقل التقادير.

لهذا، فإن السعوديين حريصون على التخلص في أسرع وقت من الملف الفلسطيني والأزمة الفلسطينية. لقد أصبحت القضية الفلسطينية من (مشرعن) للأنظمة العربية عبر الإرتباط بها والدفاع عنها وحتى المزايدة عليها، الى قضية خسر فيها المعتدلون العرب (شرعيتهم)، وفي مقدمتهم السعودية ومصر، نظراً لمواقفهم الصادمة للراي العام العربي، ووقوفهم ضد أي مقاومة لإسرائيل، وتشجيعهم حصار غزة، ولهاثهم وراء مشاريع سلمية أشبه ما تكون بسراب، وحتى لو تحققت تلك المشاريع فهي لن ترتد على الأمة خيراً.

السعودية تريد أن تتخلص من الملف الفلسطيني بسرعة. وهذا الملف ترى أنه عبء عليها، رغم أنها لا تساهم فيه إلا بالسلب والحصار، ورغم ان السعودية ليست دولة مواجهة، بل هي بالتضاد مع مواقع المواجهة في سوريا ولبنان وفلسطين.

لكي تتفرغ السعودية لمواجهة إيران بتحالف غربي اسرائيلي عربي، فإنها بحاجة الى تهدئة او حلحلة القضية الفلسطينية كيفما كان. لهذا كان المؤتمر في نيويورك مناسبة لإعادة الإعتبار للمبادرة السعودية (العربية). ولقد مهدت السعودية ـ أو تظن ذلك ـ الرأي العام العربي لتقبل أن العدو الحقيقي هو ايران وليس اسرائيل، وان الخطر الإيراني أعظم من الخطر الإسرائيلي، وأن هناك إمكانية للتحالف مع اسرائيل لتقليم أظافر إيران وحتى إسقاط نظام حكمها.

لا بدع أن تكون دعوات بيريز المستمرة وكليشيهاته المكررة: (ايران خطر ليس على اسرائيل فحسب وإنما على العرب أيضاً) والتي كررها في نيويورك أيضاً، وأنه لا بد من تحالف لمواجهة الخطر المشترك.. لا بدع أن تلقى هذه التصريحات اهتماماً وأذناً سعودية بشكل خاص. فالخاسران المتضرران في النفوذ والمكانة: السعودي والإسرائيلي، لا تفصلهما مسافة ذهنية أو سياسية أو مصلحية تمنعهما من العمل المشترك وتهيئة الأجواء الإقليمية والعالمية لحرب ضد إيران أو على الأقل هجوم يدمر قواها العسكرية ومنشآتها النفطية والنووية، بحيث تشارك السعودية بالتمويل واسرائيل بالتخطيط والضرب بالتعاون مع الولايات المتحدة.

ولأن المتضررين الخاسرين متألمين معاً من وصول اوباما الى الحكم، وأنهما يشتركان في نقد موقفه إن أراد الحوار مع ايران، فإنهما يأملان معاً أن تأتي فرصة سياسية تغير فيها الإدارة الجديدة بوصلتها باتجاه التصعيد، ومن ورائها الكيد الصهيوني والمال السعودي.

لهذا، كان مؤتمر مدريد، بمثابة جمع لعرب الإعتدال الفاشلين مع اسرائيل، بغرض تهدئة الجبهة مع اسرائيل، وتصعيدها مقابل إيران. لم يكن غريباً ان يقول بيريز في خطابه في المؤتمر: (الأسلحة النووية والصواريخ البعيدة وخطاب الحقد تحدّد جدول عملنا، ويجب علينا جميعاً أن نغيّر جدول عملنا) في إشارة إلى البرنامجين النووي والصاروخي الإيرانيين. ولكن كيف نغير جدول الأعمال؟ أليس بمبادرات سعودية، سلمية كما في بيروت وقبلها فاس، وحوارية تسامحية كما في نيويورك؟!

أي أن هناك تسامحاً سعودياً وهابياً مع العدو الإسرائيلي، وعداءاً متأججاً يأخذ منحى طائفياً وقومياً مقابل إيران، مع أن عنوان المؤتمر النيويوركي حمل عنوان: (إشاعة لغة التسامح والاعتدال بين الأديان السماوية الثلاثة)، إلا أن المؤتمرين ومعظمهم من السياسيين جعلوا جهودهم تصب في خانة التحذير من (الخطر الإيراني).

وكانت صحيفة الأخبار اللبنانية ١١/١٣ وعبر مراسلها نزار عبود قد أشارت الى أن حفل العشاء الذي جمع المؤتمرين، تضمن كلمة لبيريز وبحضور زعماء ورؤساء وزراء كل من اليمن وقطر والكويت ومصر، دعاهم فيها إلى الاتحاد لمواجهة (خطر إيران في السيطرة على الشرق الأوسط. وإلى اعتبار إيران خطراً على الدول العربية، فضلاً عن إسرائيل). وبعد العشاء كرر بأن (المؤتمر يشكل مسعى لوقف محاولات إيران السيطرة على الشرق الأوسط. وهذا يشكل خطراً يتجاوز القنبلة النووية).

أمّا وزيرة خارجية إسرائيل، تسيبي ليفني، التي تحدثت في المؤتمر الصحافي مع بيريز، فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك حين طالبت بالعمل على تغيير الخطاب الإسلامي المتطرف. وقالت (نريد تغييرات في المساجد ودور العبادة والرسالة التي يعلّمونها للأجيال كما يحدث في مساجد غزة). ورأت أن رسالة الملك عبد الله (مهمة لمنطقتنا. وهي


الملك يلقي كلمته في نيويورك

بداية لصراع مشترك ضد المتطرفين قبل فوات الأوان). وأضافت ليفني أن (الطريق إلى النجاح تقضي بمواصلة العمل مع المعتدلين وقياداتهم)، ورفعت شروط التهدئة مع حماس لتشمل (الحاجة إلى وقف الاستعداد لمهاجمة إسرائيل، لا إلى وقف الهجمات).

توتر متصاعد مع إيران وسوريا

يبدو أن الإيرانيين واعون جيداً لاستهدافات مؤتمر نيويورك، وبدا أن خطابهم الإعلامي خلال الشهرين الماضيين في حالة تصاعد ضد السعودية، بعد أن كان الصمت وعدم الرد على الإساءات السعودية سيد الموقف. فقد هاجمت إيران وإعلامها مؤتمر نيويورك، وأنحت باللائمة على الحكومة السعودية في دعمها للإرهاب والتطرف والجماعات الوهابية التي تفتك بالأبرياء، والتي شملت إيران أيضاً. ويظهر أن ذلك جاء رداً على

تصاعد الحملة التعبوية الطائفية والسياسية والإعلامية السعودية والتي جندت لها العربية وإيلاف والشرق الأوسط فضلاً عن الصحف المحلية التي تهول الخطر الإيراني وتدعو لمواجهته لأنه (عدو السنّة).

وتحدثت أنباء قيل أن إيران سرّبتها لوسائل إعلامية بأن الإخيرة بعثت برسائل الى الحكومة السعودية تحذرها مما أسمته بالتصعيد الإعلامي والسياسي غير المبرر ضدها، والعمل بشكل مباشر للإضرار بالمصالح الإيرانية الإقتصادية. وتقول هذه التسريبات بأن مبعوثاً إيرانياً رفيع المستوى سيزور السعودية قريباً، للطلب من المسؤولين السعوديين بوقف تدخلاتهم في الشأن الإيراني ودعمهم لجماعات انفصالية في بلوشستان وخوزستان، سبق لصدام حسين أن دعم الأخيرة منها.

ولاحظت مصادر إعلامية أن هناك حملة إعلامية سياسية واقتصادية واستخباراتية تقودها السعودية ضد ايران، مدفوعة بالخسارة الكبيرة لنفوذها الإقليمي واضمحلال دورها في السياسة الدولية. وقالت المصادر بأن السعودية تكرر تجربة صراعها في الثمانينيات الميلادية الماضية ولكن مع تغير الظروف، وفقدان الإجماع العربي، وضعف الحليف الأميركي.

كما لاحظت تلك المصادر أن هناك ثلاث قضايا سترسم خارطة العلاقات السعودية الإيرانية في الأشهر الأولى من حكم باراك أوباما. الأولى، تتعلق بالخلاف حول النفط إنتاجاً وأسعاراً. وقد اشتدّ الخلاف في الإجتماع الأخير لأوبك بين السعودية وإيران حول مسألة خفض الإنتاج، واتهمت ايران السعودية بأنها أحد المسببين لهبوط الأسعار والإضرار بدول الأوبك، بسبب تجاوزها لحصصها الإنتاجية وقبولها بالضغوط الغربية لزيادة الإنتاج. واتهم وزير النفط الإيراني زميله السعودي، حسب تلك المصادر، بأن السعودية تريد إيذاء إيران بالتحديد من خلال تقليص عوائدها النفطية، والهبوط بالأسعار الى مستويات دنيا، وهو أمرٌ فعلته من قبل في منتصف الثمانينيات الميلادية. ويقول مراقبون أن السعودية لا تخفي قلقها من زيادة عوائد النفط الإيراني، ما يمنح السياسة الإيرانية الخارجية أسناناً إضافية، كما أن السعودية تأمل بأن تؤدي العوائد المنخفضة من النفط الى تعويق المشروع النووي الايراني الخاص بالطاقة السلمية.

الموضوع الثاني للخلاف السعودي الإيراني يتعلق بسياسة إيران الخارجية في المحيط العربي، سواء في العراق أو لبنان أو فلسطين، حيث مني النفوذ السعودي بخسائر فادحة، مع تراجع للدور الأميركي وفشله. ويعتقد المسؤولون السعوديون بأن إيران قد تمددت في نفوذها ولا يمكن مكافحتها إلا بالمصادمة المباشرة. وكانت أطراف في العائلة المالكة، ويشار هنا الى الأمير بندر بن سلطان، تأمل بأن تعمد إدارة بوش الى مهاجمة إيران عسكرياً لتحطيم برنامجها النووي وطموحاتها السياسية. وبالرغم من أن مؤشرات صراع ايراني مسلح قد تراجعت، فإن السعوديين يخشون من صفقة ايرانية اميركية تكون على حسابهم وعلى حساب حلف المعتدلين. وتعتقد السعودية بأن لا خيارات لديها إلا المواجهة مع سوريا وإيران، حتى لو تراجعت الدول الأخرى، ما يجعل الأزمة السعودية الإيرانية تميل الى التصاعد.

وأما الموضوع الثالث فيتعلق بالحملات الإعلامية السعودية التشهيرية ضد إيران، والتي يرى الإيرانيون أنها تتصاعد كما وكيفاً، ولم تكتف بإشعال الفتنة الطائفية التي يقول الإيرانيون أن السعوديين يحلمون بأن يستعيدوا دورهم عبرها.

وحسب المحللين، فإن الأكثر إقلاقاً لدى الحكومة السعودية، هو احتمال ان تتوصل ايران واميركا الى اتفاق تقاسم نفوذ في الشرق الأوسط، ما يجعل السعودية مهمشة سياسياً وغير قادرة على لعب دور لا على الصعيد الخليجي ولا على الصعيد العربي (الفلسطيني واللبناني تحديداً).

من جهة سوريا، فإن مصادر سورية مطلعة قالت بأن الحكومة السعودية لا تزال مصرّة رفض المصالحة مع دمشق، وأنها لاتزال تعتقد أن بالإمكان إسقاط النظام في سوريا، بالتنسيق مع الإستخبارات الإسرائيلية، وأن مهندس هذا التوجه هو الأمير بندر بن سلطان، الذي يشغل منصب الأمين العام لمجلس الأمن الوطني السعودي. ولاحظ دبلوماسيون غربيون في السعودية أن اللهجة السعودية تجاه دمشق لاتزال في أقصى حدودها من التوتر. فيما أفاد دبلوماسي عربي بأن السعودية لا تتحمل وجود أقوياء ولا أية قوة سياسية عربية تنافسها، وبالتالي فهي تعمد على تحطيمها. وأشار الدبلوماسي كدليل على ذلك الى الموقف السعودي من عبدالناصر ومن صدام حسين والآن مع الأسد. وكان وليد المعلم قد قال في تصريحات سابقة بأن السعودية لا تريد تطبيع العلاقات مع بلاده، وان تصريحات سعود الفيصل بهذا الشأن يفهم منها عدم رغبة السعودية وساطة اكثر من طرف عربي لإصلاح العلاقات بين البلدين.

وتأخذ سوريا على السعودية دعمها لمحاولة انقلابية في الجيش حدثت في شهر اكتوبر ٢٠٠٧، كما يتهم السوريون السعودية بتمويل نشاط جماعات سلفية في لبنان وسوريا للعمل على الإضرار بالأمن الداخلي، وكان آخرها قيام سلفي سعودي بتفجير انتحاري في دمشق، راح ضحيته العشرات. في حين ترى السعودية ان ليس بالإمكان عزل سوريا عن ايران، وأن اسقاط النظام السوري سيحدث التوازن المذهبي المطلوب في المنطقة بعد سقوط النظام العراقي (السنّي من وجهة نظرها).

وسبق للتلفزيون السوري أن بث اعترافات لمعتقلين من جماعة (فتح الاسلام) المموّلة سعودياً واتهمتها بأنها وراء تفجير دمشق في ٢٧ سبتمبر الماضي وأسفر عن مقتل ١٧ وجرح ٦٥ شخصاً. وكشفت الاعترافات عن أن الانتحاري الذي نفّذ عملية التفجير هو سعودي ويدعى (أبو عائشة).

وجاء في اعترافات منفذي الهجوم أن تيار المستقبل سعد الحريري هو أحد ممولي التنظيم، فيما ذكرت وفاء العبسي، إبنة مسؤول تنظيم (فتح الإسلام) الذي مازالت الأنباء متضاربة بشأن مصيره، بأن التنظيم يتلقى مساعدات من شخصيات سعودية مثل السعودي عبد الرحمن اليحيى (أبو طلحة) بالإضافة إلى أشخاص آخرين قالت بأنها لا تعرف أسماءهم.

وكانت تقارير صحافية وأمنية ذكرت بأن تنظيم (فتح الإسلام) تشكّل من عناصر سعودية وأخرى أردنية وفلسطينية وسورية ولبنانية وبتمويل سعودي بهدف إحداث فوضى في لبنان بعد حرب تموز ٢٠٠٦، وقد تعهّد الأمير بندر بن سلطان، رئيس مجلس الأمن الوطني السعودي، للإدارة الأميركية بأنه سيقوم بضبط عناصر التنظيم للحيولة دون توجيه عملياتهم ضد



انفجار دمشق وراءه انتحاري سعودي

المصالح الأميركية في المنطقة. فيما اتّهمت القيادة السورية بان التيار السلفي في الشمال اللبناني يشكّل تهديداً للأمن السوري.

وأضافت وفاء شاكر العبسي ان (التنظيم حصل على أموال من التيارات السلفية ومنهم كثير من السعوديين المنظمين، بينهم ابو رتاج وابو يوسف السعودي الموجودين في طرابلس بلبنان وكذلك من تيار المستقبل وبنوك تابعة لتيار المستقبل). وقالت (أنها سألت والدها عن العلاقة مع تيار المستقبل ومواصلة العلاقة معه، فاجابها نحن لسنا واثقين منهم، ممكن ان تتبدل هذه العلاقة لمصلحة أو لتيار سياسي).

وقدم التلفزيون السوري شخصاً عرّفه بأنه المسؤول الأمني والمتحدث الرسمي باسم فتح الاسلام عبد الباقي الحسين ابو الوليد السوري الجنسية من معرة النعمان (ادلب)، ويعد الرجل الثاني بعد شاكر العبسي، وقد قال: (ان المسؤول عن تفجير السيارة المفخخة في المتحلق الجنوبي مدخل السيدة زينب هو ابو عائشة السعودي الذي قتل فيها).

الغرب يفرض على السعودية مبدأ:

شركاء في المغرم والمغنم

محمد السباعي

نجزم بأن تصريحات الملك عبد الله في ٢٥ أكتوبر الماضي حول الحرب الإقتصادية الخفية كانت بمثابة تثبيت تهمة أكثر من كونها دفاعاً عن موقف كان ينوي الملك عبد الله يتخذّه في مرحلة ما. فالإجتماع الذي عقده الملك مع وزير الثقافة والإعلام إياد مدني ورؤساء تحرير الصحف والمجلات السعودية أريد منه تحقيق أكبر درجة من التشبيع الإعلامي لقضية تبدو من تصريحات الملك عبد الله والتطوّرات اللاحقة أنها بالغة الخطورة، بل تنذر بأوضاع إقتصادية كارثية، أو على الأقل توفير غطاء إعلامي لقضية أخرى يصعب الدفاع عنها إلا على طريقة (من يعطي إشارة لليمين وينعطف يساراً)، أي أن الرجل ينوي على شيء فأراد من الإعلام أن يظهر الخطأ في هيئة أخرى، يظهر فيها الملك أحرص من أنبياء القومية والوطنية في العالم فيما هو يواري جناية كبرى في الثروة الوطنية، حيث شكل السرقة يأخذ بعداً كونياً.

بدأ الملك بإطلاق توجيهات ذات طبيعة إيديولوجية وأخرى إقتصادية بما تمليه من موقف إعلامي موحّد بقوله (أنتم من هذا البلد واليه ومهما عملتم يطلب منكم المزيد لخدمة دينكم ووطنكم..أنتم الآن تعرفون ماذا يحصل في العالم كله وأحب أن أقول لكم اني أعتقد أن العالم الآن في حرب خفية حرب اقتصادية). حسناً، ولكن السؤال: لماذا تتصاعد النبرة الوطنية في مثل هذه المناسبة؟ مع أننا ندرك تماماً بأن إحضار الوطن في هذه المناسبة يعكس درجة الخطر، وحساسية الموضوع المراد طرحه وتبنيه من قبل الإعلاميين من أجل تبرير وتمرير الخديعة. وهو ما يكشف عنه لاحقاً حين ذكّرهم بأن (لا بد أن تراعوا هذا كله وأن تراعوا مصلحة الدين والوطن لا مصلحة أشخاص لأن الاقتصاد هو أساس كل شيء). ليست الفقرة الأخيرة (الإقتصاد هو أساس كل شيء) تعبيراً عن نزوع ماركسي لدى الملك، ولكنه إشارة إلى الخطر المحدق بالوضع الإقتصادي الداخلي، وكأنه أراد حصر هدف الإجتماع بالإعلاميين في البعد الإقتصادي فحسب.

محاولة إدراج الملك الأزمة الإقتصادية التي تشهدها البلاد في سياق مؤامرة، يراد منها إعفاء سياسات بلاده من المسؤولية، وبالتالي تحميل جهة مجهولة ما يجري لتضليل الرأي العام المحلي. ما يثير الدهشة والسخرية في آن أن يطلب الملك من الرعية الحفاظ على الثروة الوطنية، فيما يعلم كل مخلوق بشري في هذا الكون أن الثروة هي تحت سيطرة العائلة المالكة التي يرأسها الملك حالياً.

خاطب الملك الإعلاميين قائلاً أن (بلادكم هدف لزعزعة هذه النعمة التي تفضل بها الرب عليكم ولا لأحد فيها كرم الا للرب عز وجل) داعياً الى احترام هذه النعمة والمحافظة عليها (بلا تهور وبلا وطنية مزعومة وبلا ظهور غير نافع).

إحضار الوطن في وقت الأزمات يعكس درجة الخطر، وحساسية الموضوع المراد تبنيه إعلامياً لتبريره أو الدفاع الأعمى عنه

وفي هذه الفقرة بالرغم من تشابكاتها، ما يلفت إلى أن الملك يريد القول بأن ثمة أطرافاً مجهولة تستهدف الثروة الوطنية، ولكن ما هو غامض حقاً هو دعوته بالمحافظة عليها دون تهور أو وطنية مزعومة، فهل يشير هنا مثلاً، والاجتهاد في كلام الملوك خطير، الى أمراء داخل العائلة المالكة يحسبون على الأجنحة المنافسة له، إن وجدت، أم أنه يجهر بألم داخلي ويريد البوح به للإعلام بأن ليس له كلمة على اقتصاد بلاده، وأن الجناح السديري هو الآمر الناهي في الشأن الإقتصادي الوطني، أم هو يتحدث عن قوى إقتصادية محلية باتت تشكّل تهديداً للقوة الإقتصادية لدى العائلة المالكة. لا ندري كل شيء جائز، وقد يكون كلام الملك أحياناً تضييعاً لأصل القضية.

تشديده المتكرر على البعد الوطني وأن (الوطن فوق كل شيء) والذي يستحضر دائماً في وقت الأزمات يجعل هذا الوطن مفهوماً مبتذلاً، إذ لا معنى لهذه الاجترارات المتوالية حين يراد منها تحميل الناس الغرم والمسؤوليات وليس مقاسمة الغنم والحقوق. لا يبدو أن الملك عبد الله ولا الأمراء الآخرين في العائلة المالكة ينشدون وطناً يتقاسم فيه المواطنون الحقوق والواجبات، وليس وطناً يجري إحضاره وإشهاره حين المحن والأزمات، وكأن العائلة المالكة تريد من الرعيّة مجرد مدافعين عنها في السرّاء والضرّاء، ولكن حين يقوى عودها وتستعيد قبضتها تتحدث بلغة فئوية صارخة كالتي يسمعها زوّار المجالس المفتوحة (هذا الحكم لآل سعود)، و(ما في هذه البلاد لنا وحدنا)، و(أخذناها بالسيف فمن أرادها فليشهر سيفه)، وباقي الجمل القائمة على نقائض الدعاوى الوطنية، بل يميّزون أنفسهم عن عامة الناس ويعتبرون ما في أيديهم إنما أنزل إليهم من السماء أو ما منحتهم إياه الأرض لسمو عرقهم. يقول عبد الله (أنا منكم واليكم لكن تهمني مصلحة ديني ووطني فوق كل شيء وهذه لا أساوم فيها ولا أنظر فيها ولا في الحلم).

كل تلك التصريحات المرجفة التي أطلقها الملك عبد الله وضعت على محك الإختبار مع زيارة رئيس الوزراء البريطاني جوردن براون الى الرياض وعدد من العواصم الخليجية الأخرى في ٢ نوفمبر. فقد عرف الجميع طبيعة المهمة التي جاء براون من أجلها للرياض، واعتبروها جولة شحادة راقية! ..زيارة ذكّرت بما تكبّده الاحتياطي النقدي من الثروة الوطنية في الولايات المتحدة والبالغ بحسب تقديرات مستقلة نحو ٣ تريليونات دولار، وتشمل إستثمارات التجار ورجال أعمال أصبحت جميعها جزءً من مخصّصات خطة الانقاذ المالي التي وضعها الرئيس الأميركي جورج بوش على قاعدة (تقاسم الغنم والغرم بين الحلفاء). ربما كان الرئيس تشافيز الفنزويلي الوطني الوحيد الذي أطلق نقداً لاذعاً لتلك الزيارة حين وصف طلب براون من دول الخليج تقديم مساعدات لدول أعضاء في الإتحاد الأوروبي خوفاً

من الإفلاس بأنه عمل غير أخلاقي.

وهنا تبدو وطنية تشافير أشد نقاءً من نظيرتها لدى الملك عبد الله، ويكفي قبوله باستقبال براون لتكشف عن موافقة مبدئية على المساعدة المالية المرجوة من آل سعود، فقد تحوّل الأخيرون ونظرائهم في دول الخليج إلى مجرد بنوك ضخمة يراد منها توفير سيولة دائمة للغرب، والذي يلقي عليهم واجباً أخلاقياً في مقابل حفظ عروشهم.

في جولته الخليجية، اصطحب براون وفداً مؤلفاً من وزراء ورجال أعمال، وصف بأنه وفد يجعل مارجريت تاتشر محرجة لعظم حجمه. وقد أصرّ براون بأنه ذاهب لهدف أسمى، أي دعم ليس الخزانة البريطانية الفارغة ولكن صندوق النقد الدولي. ويعد إنفاق ٢٩ مليار دولار من أصل ٢٥٠ مليار دولار كاستجابة للنداءات المستعجلة من أجل النقد من قبل آيسلندا وهنغاري وأوكرانيا، فإن صندوق النقد الدولي ليس في وضع يسمح له بتحقيق الطلبات التي قد تؤدي إلى دحرجة أحجار رقعة الشطرنج. البلدان المنتجة للنفط بحاجة الى زبائن متعافين إقتصادياً وأسواق مستقرة، فلماذا لا تكون مستعدة لدورة أخرى من بعض الفوائد المرتفعة التي حصدوها حين كان النفط يصل الى ١٤٧ دولاراً للبرميل؟

حسناً، جزئياً بسبب أن البرميل يقدّر بنحو أقل من ٦٠ دولار، وأن قرار الأوبك الطارىء في فيينا بتخفيض الإنتاج بنحو ٥ بالمئة لن يكون كافياً لوقف تراجع الأسعار مرة أخرى بنحو النصف. وإذا ما حصل، فإن منتجي النفط سيواجهون التضخّم بدرجة غير قابلة للسيطرة كما حصل في فنزويلا، أو أن الدول التي واجهت تضخّماً عالياً، مثل روسيا، قد يتزعزع إستقرارها، بما يؤدي الى مزيد من القيود

إدراج الملك الأزمة الإقتصادية التي تشهدها البلاد في سياق مؤامرة، يهدف إلى إعفاء سياسات بلاده من المسؤولية، وتحميلها الناس

على الإمدادات. في وقت الأزمات العالمية، كل دولة تسعى إلى معالجة الأضرار المباشرة التي تقع عليها وتستجيب لمتطلبات صناعاتها، وبحسب بيان أوبك فإن إنهيار سعر النفط قد يؤدي إلى تقويض المشاريع النفطية القائمة ويقود إلى إلغاء بعضها الآخر، وهو ما دفع بالحكومة السعودية الى اللجوء إلى احتياطيها النقدي لتمويل مشاريع تطوير المنشآت النفطية وتوسعة خطوط الإنتاج بهدف زيادة حجم الصادرات النفطية.

إلى جانب ذلك، ليست البنوك السعودية التي أقرضت في العام الماضي ٧٥٠ مليار جنيه إسترليني (تريليون ونصف تريليون دولار) أكثر مما تاخذ في الودائع ولكنها البنوك البريطانية. فالأزمة المالية قد نجمت عن أول وأكبر إنهيار مالي في الغرب. وفي الوقت الذي يبدو واضحاً بأن الحكومة مسؤولة عن حماية مواطنيها من تأثيرات الإنهيار في النظام البنكي، كيف يمكن سحب الجدل على بلدان أخرى حيث تتصرف بنوكها بحذر أكبر؟ ولكن السؤال الكبير الذي يواجه دول الخليج ذات الفائض النقدي المرتفع: لماذا يجب استعمال صندوق النقد الدولي في الأصل لإيصال أموالهم الى دول الجوار التي تعيش ضوائق مالية.

وكما كان متوقعاً، فإن رئيس باكستان المنتخب مؤخراً آصف علي زرداري قد جاء الى السعودية في نهاية أكتوبر الماضي من أجل طلب المساعدة من الرياض بخصوص تسديدات النفط. وكانت باكستان قد طلبت من السعودية تأجيل تسديد أثمان وارداتها من النفط الخام والتي تصل إلى نحو ٦ مليار دولار هذا العام، بسبب الأزمة الإقتصادية الخانقة التي تعصف بها. سمع زرداري رسالة واضحة من نظيره السعودي: وقف التعاون مع إيران في المسألة الإفغانية.

السعودية تفضّل في الوقت الراهن توظيف قدرتها المالية والمساعدات الإقتصادية لزيادة نفوذها على القيادة السياسية في إسلام أباد، عوضاً زيادة الرصيد المالي لصندوق النقد الدولي، والتي لا تملك فيه السعودية سوى ٣ بالمئة من الأصوات. دول عربية كثيرة كانت تأمل في أن تكون المساهمة السعودية في تمويل صندوق النقد الدولي وغيره من المنظمات المالية الدولية قوة إسناد للمصالح العربية، ولكن على خلاف ذلك فقد تحوّلت المساهمة السعودية إلى ورقة ضغط أحياناً لصالح الغرب ولتسوية مشاكله وأزماته على حساب مصالح العرب.

أمريكا أيضاً تبحث عن ذات النفوذ في باكستان، عبر تمويلات مباشرة للجيش الباكستاني، كجزء من الحرب ضد المقاتلين الإسلاميين. ولأن صندوق النقد الدولي خاضع بصورة شبه كاملة للولايات المتحدة والدول الصناعية الكبرى، فإن السيناريو المحتمل هو أن دول الخليج ستنتظر لقاء الأمم العشرين الذي من المقرر عقده في واشنطن هذا الشهر، للمطالبة بإصلاح النظام المالي العالمي.

في ظل تكهنات قائمة حول نتائج وتداعيات الأزمة المالية العالمية، تطلق السعودية تصريحات متقطعة حول قرارات راديكالية وعاجلة تقدم عليها من أجل الحد من أخطار تلك الأزمة، فقد أعلن رئيس أرامكو الجديد عن وقف بعض مشاريع التطوير التي كانت أرامكو تخطط لتنفيذها من أجل زيادة حجم الانتاج ومضاعفة الاستثمار. إن الحديث عن تحوّل السعودية الى قوة صناعية واعدة بفعل مداخيل النفط والمشاريع الطموحة يتراجع الآن لجهة إعادة تقييم المعطيات الراهنة التي يستند إليها، مع التدهور المتواصل في أسعار النفط. في الفترة ما بين ١٩٨٦ ـ ٢٠٠٨ ارتفع سعر النفط من ٢٠ الى ١٣٦ دولار، فيما بدأ سعر النفط بالهبوط السريع خلال عام واحد ليصل إلى ثلث السعر الذي كان عليه قبل أقل من عام.

ويتحدّث خبراء إقتصاديون عن أن سقف التوقعات لسعر البرميل النفطي كان مبالغاً فيه، وإن انخفاض السعر الى مادون ٤٥ دولار سيؤدي إلى



الناهب والمنهوب!

كارثة إقتصادية في السعودية ولن تستطيع حينذاك من تغطية مرتبات موظفي القطاع العام. نشير إلى دعوات من قبل خبراء اقتصاديين أوروبيين للحكومة السعودية بوجوب تخفيض المرتبات الشهرية بمقدار الثلث بحيث تتطابق مع المعدلات الدولية للرواتب.

ولكن الخبراء يشدّدون على أن خطوة منفردة من هذا القبيل ستكون كارثية، وخصوصاً في الوقت الراهن حيث معدل التضخم يضغط من أجل الاحتفاظ بمعدلات متوازنة من المرتبات الشهرية. إذ لا يمكن تخفيض هذه المرتبات فيما لا تزال معدلات الفساد المالي والإداري في حالة صعود مستمر، ولا يمكن مكافحة الأزمة المالية فيما تقتطع نسب عالية من العمولات في صفقات تسلح بأثمان فلكية دون مرورها عبر مجلس الوزراء، أو مجلس الشورى، أو حتى هيئة رقابية مستقلة، فمازال الباب الخلفي لأشكال الفساد المالي والإداري مفتوحاً على مصراعيه. يبقى أن ما كان يقوله الملك عبد الله بأن (الخير كثير) لا يعدو الآن سوى مزحة ممجوجة، فقد بات الخير الكثير منقسماً بين أمراء لصوص وحلفاء جشعين، أما الناس فليس لهم (غير الدفاع عن الوطن)!

مصير حلف المعتدلين

السعودية والأفق السياسي المسدود

عبدالحميد قدس

يعيش معسكر الإعتدال آخر أيامه مع تصرّم فترة صانعه الأميركي، فيما بدأ المتحلقون حوله في لبنان وفلسطين وأماكن أخرى بترتيب أوضاعهم بعيداً عن رهانات المعسكر، بعد أن تبيّنت ملامح التصدّع في بنيته، ومع قرب غروب شمس المحافظين الجدد في الولايات المتحدة.

كانت لبنان أول صخرة تنهار على المعسكر، بعد أن كان الرهان على تحويله إلى مدخل لشرق أوسط جديد يديره المعتدلون. وقد اعتاد اللبنانيون النظر إلى قرني الإستشعار لدى وليد جنبلاط، الزعيم الإشتراكي، لمعرفة الإشارات الأولى لمتغيرات سياسية خارجية تنعكس لبنانياً، فقد حمل معوله مع إطلالة الفجر الأولى من يوم السابع من آيار الماضي معلناً عودة حميدة عن مغامرات فريق الرابع عشر من آذار، إيذاناً بمرحلة جديدة يفقد فيها الفريق صوته المجلجل في غمرة المخططات المتوالية لإسقاط دمشق وطهران وقوى الممانعة في المنطقة..

لا يبدو أن الأمر كان من السهولة بمكان لأن تحقق قوى صغيرة ومتوسطة وحتى كبيرة منجزاً تاريخياً بحجم تغيير خارطة الشرق الأوسط، وما جهله هؤلاء أن الغطرسة صنو للغباء في حالات كثيرة. حاولت السعودية أن تضطلع بمنصب القيادة لمعسكر الإعتدال، بالإستناد إلى قوتها المالية، وربما أضمر الطرفان الأساسيان مصر والأردن تحفّظاً حيال الدور السعودي غير المنضبط والذي اعتبره المصريون على الأقل بأنه افتئات على دورهم. هذا ما تبيّن لاحقاً، أي بعد اتفاق الدوحة في مايو الماضي، حيث بدأت مصر بالتحرّك المنفرد على الموضوع اللبناني، بكسر العزلة التي فرضها الطرف السعودي عليها بعد أن أصبحت جزءً من الاستقطاب السياسي اللبناني.

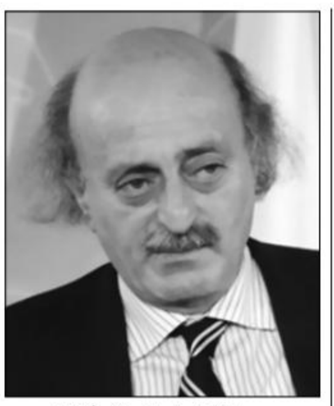
لم تشأ مصر السير في الطريق السعودي ذي الإتجاه الواحد، وقررت الإنفتاح على الأطراف السياسية اللبنانية كافة، الأمر الذي تنبّهت له جيداً قيادات ناشطة في فريق ١٤ آذار، مثل زعيم القوات اللبنانية سمير جعجع ورئيس اللقاء الديمقراطي وليد جنبلاط، اللذين استقبلتهما مصر في ١٨ أكتوبر الماضي، في إطار المبادرة المصرية للإنفتاح على القوى السياسية اللبنانية، أعقبه توجيه دعوة للأمين العام لحزب الله حسن نصر الله لزيارة مصر. هذه الخطوة يتم النظر إليها في سياق خطوة متساوقة في العراق والمنطقة عموماً (زيارة ابو الغيط الى بغداد وإعادة فتح السفارة).

كلام لافت وذو دلالة كبيرة قاله المتحدث الرسمي بإسم الخارجية المصرية حسام زكي، عن توافد سياسيين لبنانيين بارزين الى القاهرة، والذي وصفه بأنه (يدل على حرصهم على وضع مصر في صورة التطورات التي يشهدها لبنان والحصول على دعمها السياسي والأدبي لكل الأفكار التي يمكن أن تعزّز دور الدولة اللبنانية ومؤسساتها الدستورية). إذن الأمر ليس منحصراً في إطار زيارات وديّة، بل هو استئناف لدور مصري مأمول في الساحة اللبنانية بعد احتراق الورقة السعودية في الدوحة.

تطوّر آخر جرى بعيداً عن الإعلام، فقد نفّذت القاهرة مقترحاً كان الرئيس المصري قد وجّهه للسعودية في يونيو الماضي حين طالب مصالحة سورية سعودية أولاً قبل البدء بمصالحة عربية شاملة. وكان رئيس الاستخبارات المصرية عمر سليمان قد قام بزيارة دمشق في أكتوبر الماضي لترتيب مصالحة مصرية سورية بعيدة عن الأضواء.

> **تفرّد السعودية بدور القيادة في معسكر الإعتدال اعتبرته مصر افتئاتاً على دورها التاريخي في المنطقة عموماً ولبنان خصوصاً**

ونفى حسني مبارك بعد قمة جدة التي جمعته بالملك عبد الله أن يكون قد تطرّق إلى مسألة المصالحة السورية السعودية، ولكن مصر قررت من جانب واحد وقف التجاذبات السياسية والإعلامية مع القيادة السورية في هذه المرحلة، تمهيداً لتنقية الأجواء العربية وحسم الخلافات مع دمشق. قطر التي تولت دور الوساطة بين القاهرة وعمّان ودمشق، تلقت جواباً واضحاً من القيادة المصرية، بأنها لا تمانع من عودة العلاقات مع سوريا إلى طبيعتها، ولكن العقدة الحقيقية تبقى بين الرياض ودمشق. محاولة قطر في كسر الجليد بين الرياض ودمشق لم تنجح، بل لحظ رئيس الوزراء القطري الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني تصلبّاً من الجانب السعودي حيال موضوع التوتر في العلاقات بين دمشق والرياض.



استشعار خسارة حلف الإعتدال

نلفت إلى أن الأمين العام للجامعة العربية كان قد تمنى في مايو الماضي على الرئيس السوري الذي يرأس القمة العربية السعي من أجل إحياء محور القاهرة - دمشق - الرياض، من أجل حلحلة الأزمة في العلاقات العربية العربية، عبر إزالة الإنسداد المحكم في العلاقات بين دمشق والقاهرة والرياض..ولكن الأسد تلقى إشارات سلبية من الجانب السعودي دفعت به للإحجام عن طرق أبواب الرياض.

هناك من يتحدث عن جدل متصاعد داخل العائلة المالكة بشأن الإسترسال في خيار المواجهة مع دمشق، والتخطيط لقلب النظام السوري بالرغم من إنتهاء المدة المسموح بها لتنفيذ المخطط، خصوصاً بعد أن نجح الأسد في كسر العزلة المفروضة على نظامه منذ مايو الماضي، أي بعد حسم التجاذبات في لبنان، وتبدّل السلوك الفرنسي حيال دمشق والذي فتح بوابة أوروبا أمام الرئيس الأسد، الذي زارها عبر البوابة الفرنسية.

في منتصف أكتوبر الماضي، تحدّثت مصادر سياسية سعودية أن جدلاً حاداً على مستوى الجيل الثالث من الأمراء حول مبررات التصعيد السعودي مع دمشق، في الوقت الذي بدأت فيه عواصم عربية

في معسكر الإعتدال تنشّط القنوات الدبلوماسية مع دمشق بصورة سرية وعلنية. وكان الرأي السائد وسط الصقور في العائلة المالكة، أن المعركة مع دمشق يجب أن تتواصل إلى حين الإنتهاء من الإنتخابات اللبنانية، والتي تعوّل الرياض عليها في الثأر لخسارتها في مايو الماضي.

رؤية أخرى يتبناها جناح الحمائم في العائلة المالكة تقول بأن الزمن المتبقي من إدارة بوش وكذلك مصير معسكر الإعتدال لا يسمح بالسير على ذات النهج التصادمي مع دمشق، وقد ينقلب الرأي العام العربي ضد السعودية في ظل افتضاح خيارات المحافظين الجدد ورهانات دول الاعتدال.

سعود الفيصل، وزير الخارجية، وأحد الصقور في العائلة المالكة والمعارضين لاستئناف العلاقة مع دمشق، أبدى في ٢١ أكتوبر الماضي تصريحات مواربة بخصوص العلاقة مع سوريا، حين أشار إلى عدم الحاجة لوساطة بين البلدين، الأمر الذي فهمه الجانب السوري بأنه تعبير عن رفض سعودي لعودة العلاقات مع دمشق.

الرياض قالتها في السر والعلن بأن شرط عودة العلاقات الطبيعية مع دمشق يتوقف على قرار الأخيرة من إيران، وكان رهان الإعتدال قائماً على هدم العلاقات الإيرانية السورية، وهو ما رفضته دمشق مراراً، باعتبار أن علاقاتها مع إيران باتت إستراتيجية وأن هدمها يجعل الظهر السوري مكشوفاً أمام دول مازالت تخطط لقلب نظام الحكم في دمشق. وكانت رويترز قد نقلت في ٢٢ أكتوبر الماضي عن



المعلم: السعودية لا تريد حلاً

دبلوماسيين غربيين أن السعودية تعتقد أن سوريا لم تقدّم ما يكفي لتستحق تقارباً دبلوماسياً مع الغرب وتخشى ألا يسهم مثل هذا التقارب بشيء يذكر لقطع صلات دمشق بايران. ويقولون أيضاً، بحسب الوكالة، إن ضغينة السعودية تجاه سوريا ورئيسها بشار الاسد ربما تعمي الرياض عن احتمالات الحوار مع دمشق.

وبالرغم من أن واشنطن هي الأخرى كسرت، بعد باريس، الجليد الفاصل مع دمشق، إلا أن ذلك لم يحدث تغييراً في سلوك الرياض، لاعتقاد الأخيرة بأن التقارب مع دمشق يبطن إقراراً بالهزيمة أمامها منذ أن تدهورت العلاقة بينهما عقب اغتيال رفيق الحريري، ثم جاءت التطوّرات اللاحقة (الخروج العسكري السوري من لبنان، وسلسلة الإغتيالات اللاحقة، وحرب تموز ٢٠٠٦، وتخطيط الرياض لقلب نظام الحكم في دمشق) لتضع النظامين في مواجهة مباشرة وعنيفة.

حسناً، تغيّر المناخ المعادي لسورية فيما لا تزال السعودية تصرّ على إبقاء القطيعة معها، لا لشيء سوى لأن النتائج المأمولة من الحشد الدولي والضغوطات على سوريا لم تثمر في زعزعة نظام بشار الأسد أو حلفائه في لبنان.

تجد السعودية نفسها أمام مأزق حقيقي في العلاقة مع سوريا، فالشعور السائد لدى العائلة المالكة بأن الرئيس الشاب في دمشق قد نجح في احتواء كل الضربات التي سدّدتها له الرياض، بدءً من حرب تموز ٢٠٠٦ وصولاً الى أحداث بيروت في ٧ مايو الماضي، والتي وضعت نهاية تراجيدية لوجود سعودي أمني وسياسي في لبنان.

الرياض تصرّ على العلاقة مع دمشق مشروطة بالانفصال عن طهران، ما رفضته دمشق حتى لا ينكشف ظهرها أمام المتربصين بها

يميل بعض المحللين إلى وضع الإحجام السعودي عن فتح ثغرة في جدار القطيعة مع دمشق إلى التعرّف على ملامح السياسة الأميركية القادمة في عهد الرئيس الجديد باراك أوباما. وهناك من يقول بأن الرياض ليست على عجل من أمرها، فمازال هناك وقت كاف قبل الإقدام على خطوة قد توصف الآن بأنها تنازل أمام دمشق، ما قد يمنح حلفاءها في لبنان ورقة انتخابية.

سمع جمال خاشقجي كلاماً من مسؤولين سعوديين يشي بحقيقة الموقف الداخلي للعائلة المالكة: يجب ألا يسمح لسوريا بالخروج من هذا الطريق المسدود في غياب السعوديين حتى لا يشعروا أنهم استطاعوا الخروج من العزلة بمفردهم ومن ثم يعاملون السعودية بتعال. وقال إن الملك شخصياً غير راض عن النظام هناك وأضاف أن بوسع المملكة الإنتظار إلى أن يحدث تغيير كبير في سوريا.

وفي تقديرنا، أن السعودية ستنتظر طويلاً إذا كانت تعوّل على مثل هذا التغيير، فقد خرجت دمشق من عنق الزجاجة، وتعاملت بذكاء شديد مع الأزمات التي واجهتها، خصوصاً تلك المشتركة مع السعودية، وإذا كانت الأخيرة تراهن على تغييرات أخرى في سوريا، بعد كل التجارب السابقة فستكون قد فقدت القدرة على القراءة السياسية الصحيحة لمتحوّلات المنطقة.

صحيح أن السعودية لم تكترث لنصائح حلفائها في الغرب ولا لضغوطاتهم من أجل تحسين العلاقة مع دمشق، خصوصاً بعد أن قدّمت الأخيرة إشارات قوية في موضوعات هامة: محاربة الإرهاب، المفاوضات مع الدولة العبرية عبر الوسيط التركي. وكان منسق السياسة الخارجية في الإتحاد الأوروبي



الفيصل: لا وساطة مع دمشق

خافيير سولانا قد زار الرياض في ٢٢ أكتوبر الماضي لتوضيح الموقف الأوروبي من العلاقة مع دمشق، على خلفية الدور الإيجابي الذي لعبته الأخيرة في حل الأزمة اللبنانية (وهو ما تخالفه الرياض حيث تعتبره هزيمة لها ولحلفائها)، وتشجيع المصالحة الوطنية الفلسطينية، ومحاربة الإرهاب. وكان الحديث عن شراكة أوروبية مع سورية السنة المقبلة قد تسبب في إحراج السعودية ودول الإعتدال عموماً، وماذا لو أضيف له تنفيذ الرئيس أوباما لتوصيات بيكر هاملتون بفتح حوار مع دمشق وطهران؟

يقدّم حلفاء السعودية قراءة ذات طابع رثائي لما أسفرت عنه التطوّرات الأخيرة على الأرض، وانعكاسها على ميزان القوى. تبدو مقالة أدمون صعب في جريدة النهار البيروتية في ٢٤ أكتوبر الماضي بعنوان (السنيورة في مهب الرياح السعودية) إحدى القراءات الوداعية لمرحلة تطوي معها وقائع ورموز ومعادلات في لبنان. يبدأ صعب مقالته بنقد لبعض السياسيين اللبنانيين الذي يقرؤون التحوّلات بصورة خاطئة (يوحي بعض السياسيين اللبنانيين كأنهم يعيشون خارج الزمن. بل خارج الأحداث، وفي ظنهم أن العالم ينتظرهم ليحلوا مشاكلهم حتى يعرف كيف يتصرف حيالهم. فاذا بالزمن يمضي وهم لا يزالون في أماكنهم يدورون حول أنفسهم).

بالرغم من كل ذلك، فإن المفاعيل السياسية للصراع بين الرياض ودمشق لم تعد قابلة للتوظيف في التجاذبات المحلية والإقليمية ولا الدولية، وإن مجرد إصرار الرياض على السير في خيار التوتير مع دمشق، الى حد مواصلة التخطيط لقلب نظام الحكم بأي وسيلة (فتنة مذهبية، تفجيرات أمنية، تحريك جماعات متطرّفة، اختراقات في الأجهزة الأمنية والعسكرية)، لا يعكس سوى إنسداد في الأفق السعودي وليس السوري.

الضوء الأخضر أميركياً والأحمر إسرائيلياً

طائرات التايفون الى السعودية مطورة

محمد الأنصاري

كشفت صحيفة الفايننشال تايمز في ٢٣ أكتوبر الماضي بأن الولايات المتحدة أعطت بريطانيا الضوء الأخضر لبيع طائرات تايفون القتالية للسعودية بالموافقة على نقل تكنولوجيا أميركية حساسة على الطائرات بعد شهور من المناظرات الداخلية.

وأبلغت إدارة بوش الكونغرس بأنها ستوافق على عملية الإنتقال، والتي تمهّد السبيل للمملكة المتحدة للمضي في صفقة بقيمة ٢٠ مليار جنيه إسترليني (٣٢,٥ مليار دولار) من الطائرات الحربية من طراز تايفون الى المملكة الخليجية.

وكانت وزارة الخارجية الأميركية قد أرادت الموافقة على عملية الانتقال منذ بعض الوقت، إلا أنه واجهت مقاومة من قبل وزارة العدل والكونغرس، وكلاهما يشعران بقلق من أن الموافقة على العملية قد تؤثر على رشى في أنظمة شركة الدفاع البريطانية.

وتقوم وزارة العدل الأميركية بالتحقيق مع شركة الدفاع البريطانية، وهي المتعاقد الرئيسي في بريطانيا بشأن صفقة التايفون، من أجل التأكد ما إذا كانت الشركة قد خالفت قوانين الولايات المتحدة بتقديم رشى لمسؤولين سعوديين في صفقة تسلح سابقة والمعروفة بإسم اليمامة. وكانت شركة الدفاع البريطانية قد نفت القيام بأي عمل مخالف للقوانين.

أما المطّلعون على القضية فيقولون بأن المناظرة قد تم تسويتها بعد أن وافقت وزارة الخارجية الأميركية على تضمين لغة في إعلان الكونغرس بإلفات الإنتباه والتشديد على أن الموافقة لا تعني بأن واشنطن قد توصلت الى أن المملكة المتحدة، أو أي شركة بريطانية ضالعة في صفقة يايفون لم تنتهك قوانين الولايات المتحدة.

وكان جريج سوتشان، مسؤول سابق في وزارة الخارجية الأميركية عن نقل الأسلحة، قد صرّح قائلاً:(خلال عشر سنوات بالعمل في مجال نقل الأسلحة لم أشاهد بتاتاً أي شيء مثل ذلك الجزء من قسم ٣٦ من بيان الكونغرس).

أخبار الموافقة الأميركية يعتبر دفعة معنوية للمتعاقد الدفاعي الأكبر في بريطانيا ويهيء الأرضية لتصدير ٧٢ من المقاتلات الحربية من طراز تايفون الى المملكة الخليجية كجزء من صفقة تم التوقيع عليها السنة الماضية والتي تعرف بإسم (مشروع السلام).

وكانت قيمة الطلب الأولي تصل إلى ٤,٣ مليار جنيه، ولكن الصفقة ستكون مدعومة بطلب آخر للتسلّح وأنظمة الأسلحة التي تقدّر بقيمة ٥ مليار جنيه. ومن المتوقّع أن ينفق السعوديون مبلغاً إضافياً بقيمة ١٠ مليار جنيه إسترليني على الصيانة، والتدريب، والدعم للطائرات.

وسيتم تصنيع أول ٢٤ طائرة تايفون في مصنع وارتون، في مقاطعة لانكشاير. أما بقية الطائرات فمن المحتمل أن يتم تجميعها في السعودية. وكانت الشركة قد وظّفت نحو ٥٠٠٠ آلاف شخص في المملكة.



وكانت الصفقة قد تم إيقافها وسط قلق بأن التحقيق من قبل مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير بشأن صفقات سابقة لشركة الدفاع البريطانية مع السعوديين والذي قد يؤدي إلى تقويض الصفقة. وكان مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير ينظر في دعاوى الفساد والرشوى في صفقة اليمامة. وقد هدّدت السعودية بإلغاء طلب تايفون ووقف التعاون في مجال مكافحة الإرهاب مع المملكة المتحدة في حال واصلت التحقيق. وأوقف المكتب التحقيق في صفقة اليمامة في ديسمبر ٢٠٠٦.

من جهة أخرى، ذكرت صحيفة الجارديان البريطانية في ١٨ أكتوبر الماضي بأن إتهامات جديدة بسوء التصرف قد وجهت الى شركة الدفاع البريطانية في السابع عشر من أكتوبر فيما تمّت إدانة الحكومة بسبب فشلها في ملاحقة الفساد. وكشف بأن مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير قد إتّهم شركة الدفاع البريطانية بإخفاء الحقيقة حول صفقات الأسلحة مع السعودية بسبب الحصول وبطريقة غير قانونية على غطاء التأمين الحكومي.

وكان مراقبون من المنظمة الدولية لمكافحة الرشى، من أو إي سي دي، قد نشرت تقريراً يفصّل فيه الدعاوى المقامة خلال فترة إيقاف التحقيقات في صفقات الأسلحة التي أبرمتها بي أيه إي بقيمة ٤٣ مليار جنيه إسترليني للسعودية. وكانت الشركة البريطانية للدفاع قد حصلت على تأمين لصفقاتها من وكالة ضمان التصدير، إي سي جي دي. وذكر التقرير بأن شركة بي أيه إي أخفت عن الوايتهول وجود وكلاء ووسطاء الذين كان يتم تقديم أموال سرية إليهم خلال فترة الصفقة.

وكان ممثلون عن مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير قد أبلغوا أو إي سي دي، بأن كان هناك (عمليات غير قانونية ذات صلة بالرشاوى من قبل بي أيه إي الى إي سي جي دي). وقد أخبر شهود مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير المحقّقين الفرنسيين والكنديين بأنهم (قدّموا الى إي سي جي دي الدليل على الغش المتصل بالرشى ضدها..بما يتصل بعمليات الشركة الى إي سي جي دي ذات العلاقة بإصدار التأمين). ولكن وكالة إئتمان الصادرات لم تقم بفعل شيء، بحسب التقرير. وقال مراقبون في أو إي

سي دي (أشار مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير بأنه يعتبر ذلك عائداً لـ إي سي جي دي لتقرير ما يجب فعله).

وكان مسؤولون في إي سي جي دي قد رفضوا إبلاغ المراقبين الدوليين لماذا لم يقوموا بأي عمل، مدّعين بأنهم ملزمون بـ (الثقة التجارية). أما فريق أو إي سي دي فقال بأنه (كان قلقاً للغاية من انعدام الدليل على أي رد فعل من قبل إي سي جي دي بخصوص إدّعاءات الغش).

وكانت شركة الدفاع البريطانية قد رفضت التعليق على حجم الإتهامات التي تواجهها. وقالت الشركة بأنه (لم يقدم مكتب التحقيق في الغش التجاري في أي وقت أية تهمة بأعمال مخالفة بخصوص حصول الشركة على غطاء إي سي جي دي فيما له صله بالمملكة العربية السعودية، كما لم يقدّم الى الشركة أي دليل).

التحليل التفصيلي في تقرير أو إي سي دي المؤلف من ٧٥ صفحة يضع وزراء بريطانيين على الرصيف. وقد استنكر معدّو التقرير، بفريق يرأسه أستاذ القانون السويسري مارك بييث، التسامح البريطاني إزاء الفساد. فريق العمل، الذي يراقب ما إذا كانت بريطانيا ملتزمة بمعاهدة كافحة الفساد الدولية، وقال بأنه (محبط وقلق للغاية) بسبب السلوك الرسمي البريطاني.

وقد سلّط التقرير الضوء على الفشل البريطاني المتكرر في الوفاء بوعود إقرار قانون فاعل لمكافحة الفساد، وكذلك الغضب الدولي حين أرغم رئيس الوزراء السابق، توني بلير مكتب التحقيق في الغش التجاري على إيقاف التحقيقات في الرشى السرية التي قدّمتها شركة الدفاع البريطانية، أكبر شركة أسلحة في المملكة المتحدة.

وقد عيّن جوردون براون جاك ستراو، وزير العدل، كمناصر لمكافحة الفساد في الحكومة. وقال ستراو بأنه يرّحب بمساهمة أو إي سي دي في المناظرة ولكنه أخفق في تقديم أي إلتزام محدد للجدول الزمني لقانون مكافحة الفساد المعدّل. ومن المقرر أن تقرر هيئة القانون بشأن الموضوع هذا الشهر، وقال ستراو بأن المقترح القانوني سيتم نشره. وكان تقرير أو إي سي دي قد اتهم الحكومة بتمضية ست سنوات من الوعد بإصلاح القانون، ولكنها لم تفعل بتاتاً.

وقد اتهمت الحكومة البريطانية بسبب فشلها في مكافحة الفساد، بالرغم من نداءات منظمات دولية لاتخاذ إجراءات عاجلة من أجل سن تشريع فيما يرتبط بالرشى الخارجية في بريطانيا. وكان الطلب قد جاء في تقرير المسائلة من قبل فريق عمل متخصّص في الرشاوى يعمل في منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية أو إي سي دي وهي الهيئة الدولية الوحيدة التي تطالب بتطبيق إتفاقيات مكافحة الرشى، وقدّمت عرضاً للتدابير البريطانية بشأن مكافحة الرشى بعد صدور قرار مكتب التحقيق في الغش التجاري لسنة ٢٠٠٦ بوقف التحقيق في الدعاوى المقدّمة ضد شركة أنظمة الدفاع البريطانية بخصوص صفقة الأسلحة مع السعودية.

وكانت النتيجة هي إدانة قاسية للحكومة بسبب فشلها في تطبيق معاهدة مكافحة الرشى، التي بدأ إقرارها قبل ثمان سنوات. وقال التقرير بأن (مجموعة العمل محبطة وقلقة للغاية من التطبيق غير المرضي للمعاهدة من قبل المملكة المتحدة). ويقول الفريق (إن استمرار الفشل في المملكة المتحدة يفشي مواضع الخلل في قوانينها بخصوص الرشى المقدّمة لسموؤلين عموميين أجانب وكذلك إمكانية حصول الشركات على رشى أجنبية تعيق التحقيقات). وقد استعادت مجموعة العمل توصياتها السابقة في السنوات ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠٠٧، بأن تقوم المملكة المتحدة بسن تشريع جديد بخصوص الرشى الأجنبية في أقرب فرصة ممكنة.

أزمة السعودية بانهيار أسعار النفط

على عكس التوقّعات، فإن قرار أوبك بخفض كمية الإنتاج من النفط وتقليص حجم العرض طمعاً في زيادة الطلب وتالياً رفع الأسعار، فإن النتائج جاءت معاكسة، لأن معدّل الطلب بقي متدنيّاً لسبب بسيط أن كمية النقود في العالم لا تسمح بارتفاع الطلب، بفعل الأزمة المالية العالمية الطاحنة التي أتت على اليابس قبل الأخضر، ومازالت تداعياتها مستمرة بوتيرة متسارعة فيما تشير بعض التقارير أن ما حصل خلال الشهرين الماضيين ليس سوى رأس جبل الثلج الذي ما إن ينفجر سيكشف عن أسوأ أزمة عاشتها البشرية منذ ١٩٢٩ إن لم تكن أشدّ سوءً.

في الثالث والعشرين من أكتوبر الماضي، كتب كارولا هويوز من فيينا وخافير بلاس من لندن بأن المستثمرين يراهنون ضد قرار تخفيض أوبك للإنتاج لمواجهة بطء الاقتصاد العالمي حيث بدا الكارتل النفطي منقسماً بشدة حول ردود الفعل على الأسعار المتهاوية.

فقد عبّر معظم وزراء أوبك في فيينا الشهر الفائت في لقاء طارئ عن دعمهم لتخفيض الإنتاج، ولكن اختلفت وجهات نظرهم حيال حجمه. الدول الصقور في المنظمة - إيران وفنزولا - تريد تخفيض الانتاج بمعدل مليوني برميل في اليوم فيما تفضّل دول أخرى تخفيضاً بمعدل ٧٥٠ ألف برميل يومياً.

بالنظر الى وجهات النظر المتباينة والانخفاض المتسارع للطلب على النفط، يقول التجّار بأن المستثمرين أسسوا لمواقف مالية بعد اللقاء والذي يفيد بأنهم يعتقدوا بأن الأسعار ستسقط الى ما دون ٥٠ دولاراً للبرميل بحلول شهر ديسمبر.

الشراء القوي للعقود الإختيارية التي تعطي القابضين الحق في بيع النفط بأسعار وتواريخ مقررة سلفاً، جاءت فيما أسعار النفط سقطت خلال النصف الثاني من أكتوبر الماضي الى ١٦ شهراً بأقل من ٦٦,٢ دولاراً للبرميل. وقد ارتفعت عروض العقود الاختيارية لشهر ديسمبر ذات قيمة ٥٠ دولاراً بنسبة ٣٠ بالمئة، لتصل الى ٢٧,١٠٠ عقداً، فيما يبحث المستثمرون عن حماية إزاء الأسعار المضطربة.

موقف السعودية كان مضطرباً الى حد كبير، وعليها أن تتحمل كل التخفيضات. ولكن علي النعيمي، وزير النفط السعودي، كانت شفاهه مزمومة، واكتفى بالقول بان السوق سيقرر سعر النفط. وكانت هناك تكهنّات بأن السعودية تريد تخفيضاً قليلاً للإنتاج من أجل تفادي تراجع إقتصادي سيء.

ولكن مهما يكن قرار أوبك، فإن التجار سيحتفظون ببعض تقييمهم حتى يروا الانخفاض الحقيقي في الإمدادات النفطية. إدوارد مير، المحلل في شؤون الطاقة في مؤسسة جلوبال إم إف، يعتقد بأن حتى تخفيض مليوني برميل يومياً لن يواجه (تبخّر الطلب)، فيما تبدو مؤشرات الكساد. الى جانب ذلك فإن السعودية هي البلد الوحيد الذي يواجه ضغطاً سياسياً وزيادة الإنتاج في الصيف المنصرم.

الصناعة النفطية تعاني هي الأخرى وبصورة مباشرة من الأزمة المالية العالمية، فالبنوك التي تفغر فاهاً للنقد المالي مترددة في إقراض خطوط الائتمان التي عادة تسهّل الصناعة النفطية قد جفّت منابعها. وكانت النتيجة كما يقول المحللون أن معظم المضاربين قادرون على التفاوض من أجل تخفيض الاسعار، فيما يشعر منتجو النفط بالقلق من البيع لشخص ما آخر والذي قد يقوّض عقود البيع قبل الدفع.

غنّت لقطر فمنعت من السعودية!

علّق موقع (التيار) التابع للتيار الوطني الحر اللبناني على خبر نقلته وكالات الأنباء في الأول من نوفمبر عن منع فنانة لبنانية من الحصول على تأشيرة دخول الى السعودية. يحاول الفنان دائمًا أن يكون حمامة سلام في الأزمات وألا ينحاز في مواقفه، وخصوصاً السياسية، فيعبّر عن المحنة التي يمر بها وطنه عبر تقديم عمل فني يليق بالمناسبة، دون أن يكون بذلك قد انحاز إلى طرف ضد الآخر، أو أصبح محسوباً على دولة دون الأخرى، أو أنه يفضل دولة شقيقة على غيرها. فمي حريري حين قررت أن تغني (شكراً قطر) بعد تدخلها لحل الأزمة اللبنانية الصيف الفائت، وهي بذلك ستكون قد فضلت قطر على غيرها من الدول العربية لكن يأتي قيام مي حريري بهذه الأغنية من كونها فنانة لبنانية أرادت أن تشكر قطر بالطريقة التي تجيدها دون أن تقصد شيئاً آخر، كما صرح المقربين من مي. إذ أصبحت هذه الأغنية نقمة عليها، فمي حريري التي كانت تلبي الكثير من الدعوات لإحياء حفلات الزفاف في السعودية، لم تمنح تأشيرة دخول لها ولفرقتها الموسيقية بعدما كانت تحصل عليها بسرعة، فيما وصلها همس أنها تسبب بعرقلة تأشيرتها إلى السعودية بسبب (شكرها لقطر).



مي حريري

مي عبرت، حسب الموقع، عن أسفها عن هذا الموقف الذي حصل رافضة أن تعلق على الموضوع منتظرة أن تعرف الأسباب الحقيقة لمنعها من دخول السعودية وتمنت ألا يكون شكرها لقطر هو السبب.

ترتيب السعودية ١٦١ في الحريات الصحافية

أكّدت منظمة مراسلون بلا حدود في تقريرها الصادر في ٢٢ أكتوبر الماضي بأن السلام وليس الإزدهار الإقتصادي ما يضمن حرية الصحافة. وفي مقدمة تقريرها حول التصنيف العالمي لحرية الصحافة أعلنت المنظمة (بات عالم ما بعد الحادي عشر من أيلول واضح المعالم. فالاضطرابات تهز عرش ديمقراطيات كبرى تقف على أهبة الاستعداد للتصدي لأي هجوم وتقضم مساحة الحريات رويداً رويداً، في حين أن أكثر الدكتاتوريات نفوذاً تزداد سلطوية وغطرسة مستفيدة من الانقسامات القائمة في المجتمع الدولي ودمار الحروب المعلنة باسم مكافحة الإرهاب. ولا عجب في أن تفرض المحرّمات الدينية والسياسية نفسها أكثر على مر السنين في دول كانت تشهد، في الأيام الغابرة، تقدّماً ملحوظاً على درب الحرية).

وأضافت المنظمة: (في هذا السياق، لا بدّ لسياسة كمّ أصوات الحرية المنتهجة في الدول المنغلقة على العالم، بقيادة أسوأ صيّادي حرية الصحافة، من أن تبقى مستمرة في ظل إفلات تام من العقاب طالما أن المنظمات الدولية شأن الأمم المتحدة تفقد كل سيطرتها على أعضائها. إلا أن هذا الانحراف العالمي يعطي الدول الصغيرة الضعيفة اقتصادياً فرصة التميّز بسعيها إلى ضمان حق الشعب بمعارضة الحكومة والإعلان عن رأيه جهاراً بالرغم من كل ما تعانيه).

يشمل هذا التصنيف الفترة الممتدة من الأول من أيلول ٢٠٠٧ إلى الأول من أيلول ٢٠٠٨ ولكنه لا يسلّط الضوء فقط على المرتبة المتفوقة التي تحتلها الدول الأوروبية (تتصدر المراتب العشرين الأولى دول تنتمي إلى المجال الأوروبي باستثناء نيوزيلندا وكندا) بل أيضاً على المرتبة المشرّفة التي احتلتها بعض دول أميركا الوسطى والكاريبي.

أما القاسم المشترك بين دول الصدارة هذه التي تشهد تباينات اقتصادية عظيمة (إن النسبة بين إجمالي الناتج الداخلي الفردي في أيسلندا وجامايكا هو ١ مقابل ١٠) فيكمن في خضوعها لنظام ديمقراطي برلماني كما في عدم تورّطها في أي حرب.

إن الدول التي تحتل المراتب الأخيرة من التصنيف هي دكتاتوريات مقنّعة نوعاً ما يتمكن المعارضون والصحافيون الإصلاحيون فيها من تحطيم الغلال التي يجبرون على تحمّلها.

وتحت عنوان (الجحيم الثابت)، رصد التقرير حرية الصحافة في عدد من البلدان فجاءت تونس زين العابدين بن علي (المرتبة ١٤٣)، وليبيا معمّر القذافي (المرتبة ١٦٠)، وبيلاروسيا ألكسندر لوكاتشنكو (المرتبة ١٥٤)، وسوريا بشار الأسد (المرتبة ١٥٩)، وغينيا الاستوائية تيودورو أوبيانغ نغويما (المرتبة ١٥٦)، يكفي الوجود الكلي لصورة رئيس الدولة في الشوارع والصفحات الأولى للصحف لإقناع الأكثر تشكيكاً بغياب حرية الصحافة. ومع أن غيرها من الدكتاتوريات لا تمارس عبادة الشخصيات، إلا أن المخنق لا يزال نفسه. ففي لاوس (المرتبة ١٦٤) والمملكة العربية السعودية (المرتبة ١٦١)، لا شيء ممكناً إن لم يكن يتماشى مع خط السلطات.

منظمة مراسلون بلا حدود

دفاعا عن حرية الصحافة

ترد ست دول من الشرق الأوسط في أسفل التصنيف العالمي لحرية الصحافة كل عام وقد ضمن أبطال القمع في هذه المنطقة مكانة بلادهم منه في العام ٢٠٠٨. فلا تزال حرية التعبير سراباً في العراق (المرتبة ١٥٨)، وسوريا (المرتبة ١٥٩)، وليبيا (المرتبة ١٦٠)، والمملكة العربية السعودية (المرتبة ١٦١)، والأراضي الفلسطينية (المرتبة ١٦٣)، وحتى إيران (المرتبة ١٦٦). والصحافيون إما خاضعون لرقابة ضارية، وإما معرّضون لأعمال عنف مروّعة.

ولا يزال المجتمع الدولي، ولا سيما الاتحاد الأوروبي، ماضياً في التكرار، على سبيل التنافس، أن الحل الوحيد يكمن في (الحوار). ولكنه يبدو جلياً أنه لم يلقَ آذاناً صاغية طالما أنه بمقدور أكثر الحكومات سلطوية أن تتجاهل الاتهامات المضادة من دون أن تخاطر بأي شيء سوى استياء بلا عواقب يظهره بعض الديبلوماسيين.

مؤتمر تلمّع فيه وجوه الطغاة والمجرمين

حوار سعودي لا علاقة له بالأديان بل بإسرائيل

سعد الشريف

ما علاقة السعودية بحوار الأديان؟

صحيح أنها تحتضن الحرمين الشريفين، وصحيح أن السعودية تزعم بأنها الدولة الإسلامية الوحيدة. وصحيح أن الأيديولوجيا الوهابية ترى نفسها (المسلمة الوحيدة) وأنها وحدها على طريق الإسلام الصحيح.

كل هذا صحيح، ومن هنا يأتي التساؤل.

لماذا تأخرت السعودية في طرق موضوع حوار الأديان، وهو موضوع قديم عمره لا يقل عن نصف قرن، بل أكثر، منذ مؤتمر بحمدون (لبنان) الأميركي في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي.

لم تكن السعودية معنية به، رغم أن الراعي أميركي حليف، والحضور أصدقاء وحلفاء!

ولم ترفع السعودية في تاريخها أي لافتة أو راية تدعو الى شيء إسمه (حوار) لا بين الأديان ولا بين المذاهب الإسلامية نفسها. لا في داخل السعودية ولا في خارجها.

بل أن لفظة (حوار) و (تقارب) لم توجدا في قاموس النظام السياسي السعودي، كما هي بكل تأكيد غير موجودة ـ ولاتزال غير موجودة ـ في قاموس المؤسسة الدينية الرسمية والأيديولوجيا الرسمية.

لم يكن النظام السعودي يجد في مفردة (حوار الأديان/ أو حوار المذاهب) مرتعاً خصباً للإستثمار السياسي. بل كانت توحي له بالشرّ، كون المفردتين غير مقبولتين تماماً من السلطات الدينية الرسمية.

لهذا لم تشارك السعودية في مؤتمر حوار أديان واحد، وكانت متعففة رسمياً عن المشاركة في أي اجتماعات تقريب بين المذاهب الإسلامية.

أما إذا جئنا الى المؤسسة الدينية الوهابية، فهي تستفز بلفظة حوار، أو تقارب، وسبق لها أن شنت حملة على دار التقريب التي انطلقت في الستينيات الميلادية الماضية في مصر، واعتبرتها داراً إسرائيلية في القاهرة. ورفضت المؤسسة الدينية حتى الإلتقاء بشخصيات دينية سعودية سنية كالمرحوم السيد علوي مالكي، باعتباره صوفياً كافراً، ورفض إمام الحرم الشيخ السديس قبل بضع سنوات، حينما أوتي بجثمان السيد الزكي في الحرم للصلاة عليه، رفض الصلاة على كافر!. ولا ننس أن المؤسسة الدينية رفضت حتى ملاقاة مفتي عمان الأباضي، واعتبرته كافراً ضالاً، مما اثار غضباً عارماً في السلطنة.

باختصار، الحوار والتقارب الدينيين، حتى ضمن الدائرة الإسلامية، ليسا من بضاعة الوهابية الدينية، ولا هي تراها ذلك، لا في الماضي ولا في الحاضر.

نعم بضاعة السعودية بحق هي: التكفير، والقتل، ونشر الفتن الطائفية في كل أرض وطأها وهابيون، وهذا ما لاحظه العلامة البوطي وعدد كبير من علماء المسلمين. هذه البضاعة هي التي تستخدم اليوم لتمزيق وحدة الصف، وتأجيج النزاع والكراهية، وإشعال الفتنة كلما هدأت.

لماذا ـ إذن ـ ظهرت مقولات الحوار الديني السعودية الآن؟!

لماذا صارت السعودية بحاجة الى أن تظهر نعومة وتسامحاً على صعيد العالم في حين أن بيتها تعتوره فتاوى التكفير والقتل والتنابذ؟

أليس الحوار في الداخل وبين أهل الداخل السعودي أولى من حوار الأديان؟

أليس الفاشل داخلياً في موضوع الحوار، لا يرجى منه خير في الخارج؟

ثم لماذا لا يكون حوار الأديان في السعودية وليس في مدريد أو نيويورك؟!

ولماذا، لم تشارك المؤسسة الدينية الرسمية وهيئة كبار العلماء ولجنة الإفتاء في الحوار الديني، لا في مدريد ولا في نيويورك، في حين توجه دعوات لشيخ الأزهر ومفتي مصر ومفتي كل العواصم الإسلامية؟!

أليس هذا مخجلاً، أن تدعو السعودية لحوار أديان على أرض في غير أرضها، ولحوار لا تحضره مؤسستها الرسمية الملتصقة بآل سعود ومصالح النظام؟

ما معنى هذا كلّه؟!

معناه أن المؤتمرات الحوارية التي تتغطى بالدين السعودي، ليست صادقة، وإنما هي مؤتمرات سياسية، ذات استهدافات سياسية، خاصة بعد أن تشوهت سمعة السعودية بعد احداث سبتمبر ٢٠٠١.

من يريد أن يدافع عن سمعة الإسلام، عليه أن يشكم الوهابيين الذين هم في داره، ممن يذكرون الله قبل أن يذبحوا خصومهم الكافرين المشركين الضالين المضلين. عليه أن يحدّ من سلطاتهم، وأن يخمد سورة غضبهم الأعمى ضد من يخالفهم الرأي من المواطنين قبل العرب والمسلمين والأجانب غير المسلمين.

لم يسوّد سمعة الإسلام إلا هؤلاء، وإلا المنتج المرّ للأيديولوجيا السعودية الوهابية. إن كان الملك يريد غرس ثقافة التسامح بين الأديان، فعليه أن يبدأها في داره وبين شعبه، لا أن يروّج لها في الخارج، وهو محروم منها!



لو لم يكن الهدف سياسياً، لتبييض صورة السعودية السوداء في الخارج، لما كانت مؤتمرات الحوار التي بذل من أجلها مئات الملايين من الدولارات!

وفي مؤتمر حوار نيويورك، بدا فاقعاً الموضوع السياسي، فالحضور في مجملهم من رؤساء الدول ورؤساء الحكومات والوزراء الممثلين لبلدانهم كانوا من السياسيين، ومكان الإنعقاد له معنى سياسي، وهدف السعودية ـ كما هو مجمع عليه ـ سياسي محض. وهو إضافة الى تبييض صورتها العالمية، محاولة للتطبيع مع الإسرائيليين من الباب الخلفي، كما رأى ذلك حزب الله، والأخوان المسلمون، وقيادات إسلامية وسياسية عديدة.

وإلا هل كان بيريز وليفني داعيتان يهوديان، أم متصهينان مجرمان قاتلان؟!

أم هل كان بوش وممثلي بريطانيا ودول غربية أخرى، مسيحيون، ويهتمون بالمسيحية والأديان، مجردة من البعد السياسي والمصلحي؟!

أم هل كان ملك الأردن، كما ملك البحرين والسعودية، ووزراء ورؤساء وزارات عربية عديدة، مشفقون على صورة الإسلام، وعلى السلام العالمي، فجاؤوا يتراكضون ليأخذوا البركة وشرف الدفاع في نيويورك.. في حين أن غزة تعيش الحصار والهجوم الإسرائيلي القاتل والمستمر؟!

تحت غطاء الإسلام، وحوار الحضارات، جاءنا ملك لا يجيد قراءة آية أو جملة صحيحة، ونظن أنه لا يستطيع أن يجيد قراءة اسمه جيداً، ليبني له مجداً، وليحصل على جائزة نوبل، المتوقع ان يرشح إليها، وليدخل علينا الإسرائيلي من النافذة رغم الصد العربي والإسلامي.

هذا ليس مؤتمر حوار أديان، ولن يكون. هذا مؤتمر سياسيين انتهازيين. مؤتمر تلمّع فيه وجوه الطغاة والمجرمين. وسيكون قريباً أثراً بعد عين.

الأَسْبِلَة والسّقايات في الحجاز

صلاح حمودي

كان بالمدينة المنورة ومكة المكرمة عدد كبير من الأسبلة والسقّايات، أنشأها السلاطين والملوك والأمراء من حكام المسلمين، وغيرهم من الخيّرين من عامة المسلمين في أرجاء الدول الإسلامية المختلفة، خدمة لحجاج بيت الله الحرام وزوار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأسبلة: جمع سبيل؛ ويعرّف السبيل لغوياً بأنه الطريق، وما وضح منه. وكل سبيل اريد به الله سبحانه وتعالى، وهو برّ، فهو داخل في سبيل الله. وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سُلك به طريق التقرّب الى الله تعالى، بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات. والسبيل منشأة مائية أقيمت لتزويد عابري السبيل بمياه الشرب. وبالرغم من أن لفظ السبيل ارتبط بالعديد من أوجه النشاطات الخيرية، مثل المصاحف المُسبلة (ويقال لها اليوم: وقف)، والتوابيت المُسبلة، والسواقي المُسبلة، إلا أن الأبنية التي خصصت لتوفير المياه العذبة لينتفع بها في سقي الناس كل يوم وعلى مدار العام كله، تُعدّ الأبنية الخيرية الوحيدة التي ظل لفظ السبيل ملتصقاً بها، حتى طغى على ما عداه من مصطلحات أُخر. أما السقاية، فقد جاء في تعريفها ما يلي: السّقاء يكون للبن وللماء، والجمع القليل أسقية وأسقيات، والكثير أساق، وسقاية الماء معروفة. والسقاية: موضع السقي. وسقاية الحاج: سقيهم الماء ينبذ فيه الزبيب، وكانت من مآثر قريش.

تُعتبر الأسبلة والسقايات مظهراً بارزاً من مظاهر اهتمام المسلمين وعنايتهم بتوفير المياه بمكة المكرمة والمدينة المنورة، والمشاعر المقدسة. ويعود ذلك الإهتمام بتوفير المياه لسقاية الحاج بمكة المكرمة، لعصور ما قبل الإسلام؛ واستمر عبر العصور التاريخية المختلفة، منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى نهاية الدولة العثمانية، وقيام المملكة السعودية. أما المدينة المنورة فقد ارتبط ظهور الأسبلة والسقايات فيها ببداية التاريخ الإسلامي.

الأسبلة والسقايات بمكة المكرمة

في مكة المكرمة، أصبحت بئر زمزم، منذ أن فجرها الله تعالى لإسماعيل وأمه عليهما السلام، بجوار الكعبة الشريفة، أول سقاية انتفع بها حجاج بيت الله الحرام. وظلت زمزم تؤدي ذلك الدور، الى أن طمرت، إما غضباً من الله تعالى بسبب بغي جرهم، ولاة الحرم في ذلك الوقت، وأفعالهم، أو بفعل بعض عوامل الطبيعة، كالسيول وغيرها، عبر العصور. وظلت كذلك الى أن بوّأ الله سبحانه وتعالى لعبد المطلب بن هاشم، جدّ النبي صلى الله عليه وسلم، مكانها، فحفرها وأظهر ماءها.

استمر حق سقاية الحاج في يد بني عبدالمطلب يتوارثونه. وعند فتح مكة المكرمة سنة ٨هـ/ ٦٢٩م، ثبّت الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ذلك، وأقرّ عليها عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. ثم تولى أمر السقاية من بعده ابنه عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما. وكان ابن عباس أول من اهتم بنزح ماء بئر زمزم وتنظيفها. ثم توالى الإهتمام بتلك السقاية في العصر العباسي، كما سيأتي ذكره.

العصر الأموي

شهد العصر الأموي ظهور عدة منشآت لتوفير المياه بمكة المكرمة. من ذلك ما عُرف بعيون الخليفة معاوية بن أبي سفيان العشر، وكان لكل عين منها مشرعة. كذلك كانت هناك عدة آبار وبرك بمكة المكرمة في ذلك العصر، منها بئر عكرمة، وبئر الشركاء، وبئر الياقوتة، وبئر عمر، وبئر الصلاصل، وبئر التجار، وبركة الثقبة. وبالرغم من أن هذه المنشآت تندرج تحت مفهوم الآبار والبرك، إلا أن الهدف منها كان توفير مياه الشرب في المشاعر المقدسة؛ فهي تُعتبر مقدمة لظهور السقايات في ذلك العصر.

ومن محاولات الخلفاء الأمويين لإنشاء سقاية تضاهي سقاية العباس ما ذكره الأزرقي، وتتلخص روايته في أن الخليفة سليمان بن عبدالملك بن مروان (٩٦ ـ ١٠١هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٩م) كتب الى عامله على مكة المكرمة آنذاك خالد بن عبدالله القسري: أن أجر لي عيناً تخرج من الثقبة (وهي المتن الشرقي لجبل ثُبير)، من مائها العذب الزلال، حتى يظهر بين زمزم والركن الأسود. فعمل خالد بن عبدالله تلك البركة بحجارة منقوشة طوال، وأحكمها، وأنبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شقّ من هذه البركة عيناً تجري الى المسجد الحرام، فأجراها في قصب من رصاص حتى أظهرها من فوارة تسكب في فسقية من رخام بين زمزم والركن والمقام. فلما أن جرت، وظهر ماؤها، أمر القسري بجزر، فنُحرت بمكة، وقسّمت بين الناس. وعمل طعاماً، فدعا إليه الناس. ثم أمر صائحاً، فصاح: الصلاة جامعة. ثم أمر بالمنبر فوضع في وجه الكعبة، فصعد وخاطب الناس قائلاً: أيها الناس، احمدوا الله وادعو لأمير المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب الزلال النقاح بعد الماء الملح الأجاج، الماء الذي لا يُشرب إلا صبراً (يعني زمزم). فكان الناس لا

يقفون على تلك الفسقية، ولا يكاد أحد يأتيها، وكانوا على شرب ماء زمزم أرغب ما كانوا فيها. فلم تزل تلك البركة على حالها، حتى قدم داود بن علي بن عبدالله ابن عباس أميراً على مكة المكرمة، حين أفضت الخلافة الى العباسيين؛ فكان أول ما فعله أن هدمها ورفع الفسقية وكسرها، وصرف العين الى بركة كانت بباب المسجد، فسرّ الناس بذلك سروراً عظيماً.

العصر العباسي

كانت بداية اهتمام أسرة العباس بسقايته في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك، عندما أقام سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس قبة في الموضع الذي كان يجلس فيه عبدالله بن عباس رضي الله عنه عند بئر زمزم.

وفي عهد الخلافة العباسية، ازداد إهتمام الخلفاء العباسيين بسقاية العباس، فأمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بفرش أرض مبنى زمزم بالرخام، كما عُمل لها شبك، وجددت قبتها. وفي عهد الخليفة العباسي المهدي ابن المنصور، تم تجديد أبنية البئر وزيد في حفرها، وشهد عهد الخلفاء العباسيين، هارون الرشيد، وأبناءه محمد الأمين، والمعتصم بالله، والواثق بالله، تجديد ابنية سقاية العباس.

وكان ما تم في عهد الخليفة العباسي المهدي بن المنصور (١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥م) لعمارة سقاية العباس، من أميز ما أنجز لتلك السقاية في العصر العباسي. وقد ذكر الفاكهي الصفة التي أصبحت عليها زمزم وحجرتها وحوضها نتيجة لعمارة المهدي لها فقال: (وذرع وجه حجرة زمزم الذي يلي بابها، وهو مما يلي المسعى، إثنا عشر ذراعاً، وتسعة عشر إصبعاً. وذرع الشق الذي يلي المقام عشرة أذرع واثنتا عشرة اصبعاً. وذرع الشق الذي يلي الوادي والصفا ثلاثة عشر ذراعاً وثلاث أصابع. وذرع طول حجرة زمزم من خارج في السماء خمسة أذرع، من ذلك الحجارة ذراعان واثنتا عشرة إصبعاً، عليها الرخام، والساج ذراعان واثنتا عشرة إصبعاً. ويدور في وسط الجدار حوض في جوانب زمزم كلها، طول الحوض في السماء تسع عشرة اصبعاً، وعرضه ثماني عشرة إصبعاً، وطول الجدر من داخل ذراعان، والجدر داخله وخارجه، وبطن الحوض وجدرانه ملبس رخاماً. وعرض الجدر ذراع وأربع أصابع. وعلى الجدر حجرة ساج، من ذلك سقف على الحوض طوله في السماء عشرون إصبعاً. وتحت السقف ستة وثلاثون طاقاً، كانت فيما مضى يؤخذ منها الماء من الحوض، ويتوضأ منها، طول كل طاق عشرون اصبعاً، وعرضه أربع عشرة إصبعاً، منها في الوجه الذي يلي المقام اثنتا عشرة، وفي الوجه الذي يلي الوادي إثنا عشر طاقاً، وحجرة الساج مشبكة).

بقيت السقاية على هذه الحال حتى عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م) عندما كتب الى عمر بن فرج الرّخجي في عمارة المسجد الحرام، فكان مما عمل قبة زمزم، فجعل عليها الفسيفساء، واصبح ذرع سعة باب حجرة زمزم في السماء ثلاثة أذرع، وعرض الباب ذراعان، وهو ساج مشبك. وبطن حجرة زمزم مفروش برخام حول البئر. ومن حد البئر الى عتبة باب الحجرة أربعة أذرع واثنتا عشرة إصبعاً. وذرع تدوير رأس البئر من خارج خمسة عشر ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً، وتدويرها من داخل إثنا عشر ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً. وعلى الحجرة أربع أساطين ساج عليها ملبن ساج مربع فيه إثنتا عشرة بكرة يسقى عليها الماء. وقد كان في حد مؤخر زمزم، الذي يلي الوادي كنيسة ساج يكون فيها قيّم زمزم، يقال: إنها مجلس ابن عباس رضي الله عنه، وفوق الملبن قبة ساج عليها قبة خارجها أخضر، ثم غيرت بفسيفساء وداخلها أصفر.

وفي عهد الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤١ ـ ٨٤٦م) تم هدم جميع ذلك وأعيد بناؤه سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م. فقد ذكر النجم بن فهد أن عمر بن فرج الرخجي هدم بيت الشراب، وهو صفة زمزم، وبنى اسفله بحجارة بيض منقوشة مداخله على عمل الأجنحة الرومية، وبنى أعلاه بآجر، وألبسه رخاماً، وجعل بينه كوى عليها شباك من حديد وابواب ملبسة وفوق الكُنيسة ثلاث قباب صغار، وألبس ذلك كله بالفسيفساء، وجعل في بطنها حوضاً كبيراً من ساج. وفي بطن الحوض حوض من أدم ينبذ فيه الشراب (شراب الزبيب) للحاج أيام الموسم.



بئر زمزم، قديماً، أول سقاية في تاريخ مكة

العصور اللاحقة

منذ ذلك الوقت وحتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، لا تتوافر معلومات عما جرى من إعمار لتلك السقاية. وقد ذكر المؤرخ الفاسي وصفاً لسقاية العباس جاء فيه: صفة هذه السقاية الآن بيت مربع في أعلاه قبة كبيرة ساترة لجميعه. والقبّة من آجر معقود بالنورة، وفي أسفل جدرانها، خلا الجنوبي شبابيك من حديد تشرف على المسجد الحرام، في كل جهة شباكان من حديد. وفي جانبها الشمالي من خارجها حوضان من رخام مفردان، وباب السقاية بينهما. وفي هذا البيت بركة تملأ من بئر زمزم يسكب الماء من البئر في خشبة طويلة على صفة الميزاب، متصلة بالجدار الشرقي من حجرة زمزم. ويجري الماء منها الى الجدار المشار إليه، ثم الى قناة تحت الأرض حتى يخرج الى البركة من فوارة في وسطها. وأحدث وقت عُمّرت فيه هذه القبة سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، وسبب عمارتها في تلك السنة أن القبة التي كانت في سقف هذه السقاية أكلت الأرضة بعض الخشب الذي كان فيها، فسقطت.

توالى الإهتمام بسقاية العباس على يد بعض الخلفاء المسلمين، وغيرهم من السلاطين. من ذلك ما ذكره ابن جبير عن أحد الأثرياء

من ملوك الأعاجم، وما قام به من تجديد لبناء بئر زمزم. أما في العهد العثماني، فقد اهتم بعض خلفائه بسقاية العباس، وقاموا بترميمها، وإعادة بنائها في أوقات مختلفة من حكمهم.

في سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، على عهد السلطان العثماني عبدالحميد خان، تم هدم قبة سقاية العباس، لأنها كانت تحجب الرؤية عن الكعبة الشريفة. وفي عهده أيضاً صدر الأمر بهدم سقاية العباس، فهدمت في يوم الجمعة ١٢ صفر سنة ١٣٠٠هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٨٨٢م.

وإلى جانب سقاية العباس، كانت بمكة المكرمة عدة سقايات واسبلة. تحدث الفاكهي عنها بقوله: (بمكة في فجاجها وشعابها، من باب المسجد الحرام الى منى ونواحيها، ومسجد التنعيم، نحو من مائة سقاية، منها لأبي أحمد الموفق بالله ثلاث سقايات في ظهر جبل العيرة، ومنها سقايتان لابن أبي الشوارب، ومنها سقاية للحارث بن عيسى أبي غانم، ومنها لأبي سهل محمد بن أحمد سقايتان. ومنها سقاية للسلطان عند مسجد الشجرة، وأخرى عند مسجد عائشة [رضي الله عنها] بالتنعيم. وسائر ذلك للغرباء ولغيرهم من أهل مكة).

أما الفاسي فقد قال عن تلك السقايات: (بمكة وحرمها عدّة سقايات، وتسمى أيضاً السُبل، جمع سبيل، وشهرتها عند الناس بالسبل أكثر. وهي كثيرة إلا أن بعضها صار لا يعرف لخرابه، وبعضها معروف مع الخراب، وكان بمكة سقايات أكثر مما ذكرنا بكثير).

من السقايات التي أنشئت في حوالي منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، في أثناء الخلافة العباسية، السقاية التي بناها بغا الكبير، مولى أمير المؤمنين الخليفة العباسي الواثق بالله، عند البئر التي أعاد حفرها بشعب أبي دب؛ وهو الشعب الذي كان في الجزّارون، ويسمى اليوم (دحلة الجن) وقد غمره العمران يمنة ويسرة، وهو يشرف على مسجد الجن.

في سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، أمر الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) ووالدته شغب، بعمارة سبيل الجوخي. وفي سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م، عمّر الملك مظفر الدين، صاحب مدينة اربل، سبيلاً بجوار المسجد الحرام، عند باب بازان. وفي سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م عمّر الزنجبيلي سبيلاً نُسب إليه. وهذا السبيل كان بأسفل مكة المكرمة مما يلي التنعيم؛ وكان يقال له (سبيل أبي راشد) لتجديده له سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م، ويقال له (سبيل المكين) لتجديده له أيضاً سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م. وهي عمارة تجديد، لأن الزنجبيلي توفي قبل ذلك بسبع وثلاثين سنة.

وفي سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، أوقف أبو أحمد عطية بن ظهيرة ابن مرزوق المخزومي سبيلين: أحدهما بأعلى مكة، والآخر بمنى عند الجمرة الوسطى، وجعل الصرف عليهما من وقف له بمزرعة بالجموم.

من الأسبلة التي أنشئت في العصر المملوكي، السبيل الذي أنشأه الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٥٩هـ، أو سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٧م، أو ١٣٥٨م، وذلك بالقرب من باب إبراهيم، أحد أبواب المسجد الحرام الغربية. وكذلك قامت أخته زهراء بنت محمد بن قلاوون بعمارة سبيل بطريق منى عرف بـ (سبيل الست) ويعرف أيضاً بـ (سبيل ابن مزنة). وفي سنة ٧٦٥/ ١٣٦٣م انشأت أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين الطبري سبيلاً بالمسعى.

من الأسبلة التي أنشأها أمير مكة عجلان بن رميثة بن أبي نمي (ت ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) سبيل بالمروة. كما شهد أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي إنشاء مجموعة من الأسبلة بمكة ومنى لعدد من كبار رجال الدولة وفاعلي الخير. من ذلك سبيلان لعطية المطيبيز، كان احدهما بالمروة. وسبيل لكل من: قاسم الزنكي، وابن بعلجد، والقائد سعد الدين جبروة، وابن صنداد، والمعلم عبدالرحمن ابن عقبة المكي، وبنت القاضي عبدالرحمن بن عقبة المكي، والملك المنصور صاحب اليمن، والعفيف الهبي سفير الملك الأشرف صاحب اليمن.

في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، أنشئت مجموعة من الأسبلة: منها سبيل أم سليمان المتصوفة، وآخر لعمر الشهاب ركوت المكين. كما أنشأ أمير مكة المكرمة، الشريف حسن بن عجلان، سبيلين: أحدهما بمنى، والآخر برباطه بأعلى مكة المكرمة. وللقاضي زين الدين عبدالباسط، ناظر الجيوش المنصورة، سبيل بالمعلاة.

وفي سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م أنشيء سبيل بالقرب من بئر زمزم نسب الى الملك المؤيد صاحب مصر. وعقب ذلك بسنتين، أنشأ



الحرم المكي من الداخل (١٨٧٩م)، توضح موقع السقاية وبئر زمزم

الأمير الحجازي سبيلين بالمعلاة. أحدهما لنفسه، والآخر للقاضي عبدالباسط. وفي سنة ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م، أنشئت بمنى ثلاثة أسبلة: أحدها لعبد الغني القباني وشريكه محمد ابن عبدالغني، المعروف بـ (ابن كرسون)، والثاني للتاجر عبدالكريم بن محمد بن أحمد الجدّي، والثالث لفرج الشرابي.

وفي سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م، أنشأ شهاب الدين أحمد العاقل سبيلاً ببيت بناه بسوق الجمال بمنى. كما أنشأ موسى بن عبدالسلام الزمزمي سبيلاً بالقرب من سبيل الست بمنى. وفي سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، تم إنشاء سبيلين بمنى: أحدهما في بيت بدر الدين الظاهر، والآخر ببيت أبي بكر الشجري. وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م، عمّر بيرم خجا، ناظر المسجد الحرام، سبيلاً بالمعلاة. وفي سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، في عهد السلطان الأشرف قايتباي، تم بناء سبيل ملاصق لمسجد الخيف بمنى. وكان ذلك السبيل من أفخم الأبنية التي عرفتها منطقة منى. وقد قال العز بن فهد عن هذا السبيل: إنه (كان ملاصقاً للمسجد على يمين الداخل

من باب المسجد، بواجهة مبنية من الرخام الأصفر المنحوت المحكم العمل، تحته صهريج كبير برسم الماء. وعُمل بالسبيل المذكور طاقات من الرخام، يتناول من الطقات المذكورة الماء المعد للشرب. وبالسبيل أربعة شبابيك كبار من جهاته الأربع. ومفروشة أرض السبيل المذكور بالرخام الأصفر، وبه بيارة يُستقى منها الماء من الصهريج المذكور على حوضه. وبالسبيل المذكور خزانة حاصل لآلات السبيل. وللسبيل بابان، أحدهما من الطريق والآخر من داخل المسجد. واستُجد صهريج خارج المسجد، وبني دبل (اي جدول) كبير له، محكم مبني بالنورة، يتوصل منه الماء الى الصهريج القديم الذي بداخل المسجد).

بعد عشر سنوات من ذلك، سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، أمر السلطان قايتباي أيضاً ببناء سبيل بالمسعى. وكان أمامه الى جهة القبلة بالمسعى سبيل قيم للقاضي شهاب الدين الطبري، على يمين الذاهب الى المروة، هدمه بمشورة المهندس الذي بنى سبيله، بعلة انه قديم، وهدمه يؤدي الى ظهور عمارة السبيل الجديد.

تميزت الأسبلة في الحجاز بخصائص معمارية تتمثل في مظهر واجهاتها، وتكوينها الداخلي. فبالنسبة للواجهات، فقد كانت على ثلاثة طرز كالآتي:

١/ السبيل ذو الواجهة الواحدة، ويمثله سبيل المدرسة الباسطية بمكة المكرمة.

٢/ السبيل ذو الواجهتين، ويوجد في سبيل المدرسة الباسطية بالمدينة المنورة، وسبيل مدرسة قايتباي بمكة المكرمة.

٣/ السبيل ذو الأربع الواجهات. وهذا الطراز موجود في الحجاز فقط، ومثاله الوحيد سبيل مسجد الخيف بمكة المكرمة.

أما التكوين الداخلي للسبيل، كما فصّله الحارثي، فيتكون من حجرة التسبيل، وغالباً ما تكون مستطيلة الشكل، ويلحق بها في بعض الأحيان إيوان صغير أو حاصل، لحفظ أدوات السبيل. وتتكون حجرة السبيل من عناصر أساسية هي:

- شبابيك التسبيل وهي: الفتحات التي تصل من خلالها أيدي المارة الى كيزان الماء للشرب.

- أحواض التسبيل: وهي التي توضع فيها المياه لسقاية المارة، وتعرف في الحجاز بـ (الطاقات).

- الشاذروان: يدل على الستارة المنقوشة، وهو عبارة عن دخلة توجد في صدر الجدار الخالي من الشبابيك بالسبيل.

- الصهريج: وهو الجزء السفلي من السبيل، ويُحفر في باطن الأرض، ويُبنى بالآجر والخافقي، وهي مادة تمنع تسرب المياه.

أما توفير المياه للصهاريج، فكان يتم في الحجاز عن طريق وسيلتين: بماء المطر المتساقط على سطح الحرم، أو عن طريق الآبار التي تُحفر بالقرب منه. وبما أن الغرض من السبيل هو توفير الماء للمارة، فقد كان منشؤه غالباً يُوقف عليه عقاراً، أو أراضي زراعية، حتى يتسنّى الصرف منها عليه، وتوفير ما يحتاجه من أفراد للعمل به، وأدوات، ككيزان الشرب، وأدوات التنظيف وغير ذلك.

تنوعت أحجام واشكال الأسبل من مكان الى آخر. فهناك السبيل البسيط الذي يتمثل بقطعة من نحوته من الحجر والمثبّت داخل جدار المنزل بجوار المدخل الرئيسي له، وهي عادة اشترك في تنفيذها معظم سكان المدينة المنورة بشكل عام، وخاصة بالنسبة لسكان المباني التي تقع عند مداخل الأحواش، أو مفترق الأزقة، أو المطلّة على الساحات العامة. ويسمى هذا النوع من الأسبلة بـ (الأسبلة المتصلة) وذلك لاتصالها بالمباني.

وهناك أيضاً أنواع أخرى من الأسبلة وهي الأسبلة المنفصلة. وتتميز هذه الأسبلة بعمارتها وبنائها المستقل. وينتشر هذا النوع من الأسبلة في الغالب خارج السور الأول للمدينة المنورة، ومن أشهرها: سبيل آل هاشم بمنطقة العنبرية، وسبيل وادي العقيق، وسبيل السلطانية الأول. وتُقام هذه الأسبلة في الغالب بجوار الآبار أو يتم استحداث بئر بجوارها كسبيل آل هاشم مثلاً، وذلك لتزويدها بالماء.

العصر العثماني

قام العثمانيون في أثناء حكمهم للحجاز بتجديد كثير من الأسبلة التي أنشئت من قبل عهدهم، كما أنهم أنشأوا أسبلة جديدة. ففي سنة ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م، قام السلطان العثماني مراد خان بتعمير وإصلاح مجموعة من الأسبلة بمكة المكرمة. وقد كلف بتلك المهمة قاضي مكة المكرمة محمد أفندي المعروف ببندر زاده، واعانه على تنفيذ تلك المهمة الشريف زيد بن محسن بن الحسن، أمير مكة المكرمة آنذاك.



سبيل في منطقة المعابدة بمكة

أما الأسبلة الجديدة التي أنشئت في العهد العثماني، فقد ذكر علي الطبري عدداً منها. من ذلك سبيلان أنشئا في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦هـ - ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠م - ١٥٦٦م) أحدهما بجوار سور باب المعلاة، والآخر بالقرب من المروة. كذلك أنشيء سبيل في نهاية سوق المعلاة على يسار الخارج منه الى الأبطح، وسبيل على يمين الصاعد الى الأبطح.

وفي عهد السلطان سليم الثاني، قام الوزير سنان باشا بإنشاء سبيل بالتنعيم، أجرى إليه الماء من بئر بعيدة بواسطة قناة مبنية بينهما بالجص والنورة، وعيّن لذلك خادماً ينقل الماء من البئر ويصبه في القناة. وقامت والدة ولي العهد محمد ابن السلطان مراد ببناء سبيل بطريق العمرة. كما أمر السلطان مراد الثالث أحد خدمه، ويدعى مصطفى جاويش، ببناء سبيل على يسار الخارج من باب الصفا، فتم بناؤه في سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م. وفي عهد السلطان محمود خان الثاني (١٢٢٣ - ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ - ١٨٣٩م) أنشيء سبيل في شمال مكة المكرمة، بقرب مسجد كان مجاوراً لقبر السيدة ميمونة [رضي الله

عنها] زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي عهد السلطان عبد المجيد، في سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، تم إعادة بناء الأسبل الواقعة قرب مسجد العمرة، على حدود حرم مكة المكرمة من الجهة الشمالية. كما تم ترميم الأسبلة الواقعة بالصفا.

واهتمت لجنة عين زبيدة، بعد تاسيسها عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م بإنشاء مجموعة من الأسبلة في جميع أحياء مكة المكرمة، من أشهرها سبيل (علي باشا)، والد أمير مكة المكرمة آنذاك. وكان آخر الأسبلة التي أنشئت في العصر العثماني سبيل (البز). وقد أشار نقش وجد على واجهته، الى أن الملك عبدالعزيز أمر بتجديد هذا السبيل في سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م.

وأمر الملك عبدالعزيز في سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م بإنشاء ثلاثة أسبلة في مواقع متفرقة من الطريق بين مكة وجدة، وهي: سبيل أم القرون، وسبيل حداء، وسبيل بئر المقتلة. وقد ذكر أيضاً أن الملك أمر في العام التالي بإنشاء سبيل المعابدة، الكائن أمام مبنى أمانة العاصمة المقدسة بمكة المكرمة. كما أمر بتجديد سبيل بئر أم الجود الذي يرجع تاريخ إنشائه الى أواخر العصر العثماني.

والأسبلة التي أمر الملك عبدالعزيز بإنشائها أو تجديدها داخل المسجد الحرام ثلاثة: الأول بجوار حجرة الأغوات من الجهة الجنوبية لمبنى بئر زمزم. وقد نفذ بأسفل واجهته نص تأسيسي داخل منطقة مستطيلة الشكل، أفقية الوضع، نقش فيها بخط ثلث (أنشأ هذ السبيل الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود أدام الله توفيقه سنة ١٣٤٥هـ). والثاني كان بجوار الأول، ويماثله في الحجم والشكل والزخرفة، فيما عدا النص الكتابي الذي أشير فيه الى تجديد هذا السبيل في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أدام الله توفيقه سنة ١٣٤٥هـ. أما السبيل الثالث فقد كان يلاصق بئر زمزم على يسار الداخل إليه من الجهة الشرقية. وقد تم تجديد عمارته عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧.

والى جانب ما أنشأه سلاطين العثمانيين فقد قام بعض الأمراء ومجموعة من فاعلي الخير من المسلمين ببناء عدد من الأسبلة. من ذلك: سبيل يعرف بسبيل الخاصّكية، بجوار مبنى بئر زمزم، وسبيل للأغوات، وسبيل برباط الخاصّكية، وسبيل للخواجا شمس الدين بن الزمن، وسبيل لكاتم السر، وسبيل للآغا بهرام، وسبيل للشريف أبي نمي، وغيرها.

لم يتبق من أسبلة العصر العثماني غير سبيلين هما: السبيل الذي يقع عند نهاية حدود حرم مكة المكرمة من الناحية الغربية وسبيل البئر.

الأسبلة والسقايات بالمدينة المنورة

فيما يتعلق بالأسبلة والسقايات في المدينة المنورة، وتحديداً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد نقل ابن النجار والمرجاني والسمهودي عن ابن زبالة قوله: (كان في صحن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة سقاية الى أن كتبنا كتابنا هذا في صفر سنة ١٩٩هـ، منها ثلاث عشرة أحدثتها خالصة، وهي أول من أحدث ذلك. ومنها ثلاث سقايات ليزيد البربري، مولى أمير المؤمنين المهدي بن المنصور. ومنها سقاية لأبي البختري وهب بن وهب، الذي كان أميراً على المدينة المنورة في أثناء خلافة هارون الرشيد، ومنها سقاية لشجن (أو سحر) أم ولد هارون الرشيد أمير المؤمنين، وسقاية لسلسبيل، أم ولد جعفر بن أبي جعفر. وأما الآن فليس في المسجد سقاية إلا في وسطه).

وذكر السمهودي أنه كان بالمسجد النبوي الشريف بركة كبيرة مبنية بالآجر والجض والخشب، ينزل الناس إليها بدرج أربع في جوانبها، والماء ينبع من فوارة في وسطها، يأتي من العين ولا يكون الماء فيها إلا في أيام الموسم إذا جاء الحاج، وبقية السنة تكون فارغة، عملها (أي تلك السقاية) بعض أمراء الشام واسمه شامة (او أسامة) وفق رواية السمهودي. وعملت الجهة أم الخليفة العباسي الناصر لدين الله، في مؤخر المسجد، سقاية كبيرة فيها عدة من البيوت، وحفرت لها بئراً وفتحت لها باباً الى المسجد في الحائط الذي يلي الشام، وهي تفتح في أيام الموسم أيضاً. وكان بناء تلك السقاية قد تم في سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م. وقال عنها السمهودي: (وليس في شمالي المسجد اليوم باب إلا باب سقاية عمرتها ام الإمام الناصر لدين الله العباسي).


سبيل قديم ملحق بأحد المباني بحارة الأغوات بالمدينة المنورة

فسّر السمهودي قول ابن زبالة السابق على النحو التالي: (الذي يظهر من كلام ابن زبالة أنه أراد بالسقايات ما يجعل لأجل الشرب، وظاهر ما ذكره ابن النجار: أن المراد بذلك ما يعمل للوضوء. وذكره لما عملته أم الخليفة الناصر لدين الله صريح في ذلك. فإنه يعني بذلك: الميضأة التي بابها في حائط المسجد الشامي، وكان لها باب آخر من خارج، سدّ قديماً وهو ظاهر فيما يلي المسجد من المغرب. وقوله: (فيها عدة بيوت)، أي: عدد الأخيلة التي بها. وقوله: (فأما الآن فليس في المسجد سقاية إلا في وسطه) الظاهر أنه يريد السقاية التي كانت للشرب بوسط المسجد).

ويمضي السمهودي في روايته قائلاً: (أما البركة التي ذكرها ابن النجار، فإنها مذكورة في كلام المطري، واقتضى كلامه نسبتها لابن أبي الهيجاء؛ فإنه ذكر أن ابن ابي الهيجاء، في حدود ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، أمد منها شعبة وأوصلها الى الرحبة التي عند المسجد من جهة باب السلام، يعني: سوق المدينة اليوم. وكان قد جعل منها شعبة صغيرة تدخل الى صحن المسجد، وجعل لها منهلاً بدرج عليه عقدٌ يخرج الماء إليه من فوارة يتوضأ منها من يحتاج اليه. فحصل

بذلك انتهاك حرمة المسجد الشريف من كشف العورات والإستنجاء في المسجد، فسدّت لذلك). وأضاف السمهودي الى ذلك قوله: (وقد رأيت آثار درجها في غربي النخيل التي بصحن المسجد قريباً منها. وليس بالمسجد اليوم شيء من السقايات إلا ما يُحمل إليه من الدوارق المسبّلة فيشربها الناس في أوقات مخصوصة. إلا أن خزانة الخدام لا يزال بها ماء لأجل شربهم).

تحدث ابن فرحون أيضاً، وتبعه السمهودي، عن سقاية كانت في وسط المسجد يحمل اليها الماء من العين، بناها شيخ الخدام في ذلك الوقت، أي شيخ خدام المسجد النبوي الشريف، وأوقف عليها أوقافاً من ماله. وكانت متقدمة على النخل، تقديرها خمسة عشر ذراعاً في مثلها. وجعل في وسطها مصرفاً للماء مرخّماً، ونصب فيها مواجير للماء وأزياراً ودوارق وأكواباً وحجرها بالخشب والحديد وجعل لها غلقاً من حديد. واستمرت السنين العديدة فكثر الشر فيها والتزاحم عندها، وصار يدخلها من يتوضأ فيها، وربما يزيل عنه فيها الأذى من استقرب المدى. ثم تعدّى الحال في شرها الى أن تضورب عليها بالسلاح، وطلب الخدام شريفاً أساء الى أهل الحرم، فسلّ سيفه على الناس، وغُلّقت الأبواب، واحتمى بالسكين حتى جاءت رسل الأمير فأخرجوه، وذلك كله بسبب السقاية ومن فيها. فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها، أزيلت عن اجتماع من القاضي شرف الدين الأميوطي والشيخ ظهير الدين.

كان هناك أيضاً العديد من الأسبلة الواقعة خارج ساحة المسجد النبوي الشريف. ويرجّح أن معظمها تم بناؤه في العهد العثماني من بعض السلاطين والأمراء وفاعلي الخير. وهذه الأسبلة، كما جاء ذكرها في (رسائل تاريخ المدينة) على النحو التالي:

سبيل المناخة باشرع العينية عند بيت أحمد بك أميرآلاي. وسبيل عن بيت جعفر الكاتب. وهناك سبيل عند مسجد المصلى، ينسب لسليم بك الماينجي. وقرب المسجد النبوي الشريف، عند بيت إمام المسجد، كان يوجد سبيل.

ومن تلك الأسبلة ايضاً: سبيل قراقول الخالدية (أي سجن الخالدية) وسبيل باب المصري، وسبيل قراقول باب الصغير. وفي بيت السر ايلية، عند مسكن ذي النون آغا، كان يوجد سبيل. وهناك سبيل بيت الخليفي، وسبيل آخر داخل المدينة عند وكالة الشريف الشدقمي بن شاهين. أما سبيل عادلة سلطان، بنت السلطان محمود خان، فقد كان عند باب الشامي، ويجانب ذلك السبيل باب الحارة الجديدة المعروفة بـ (السلطانية).

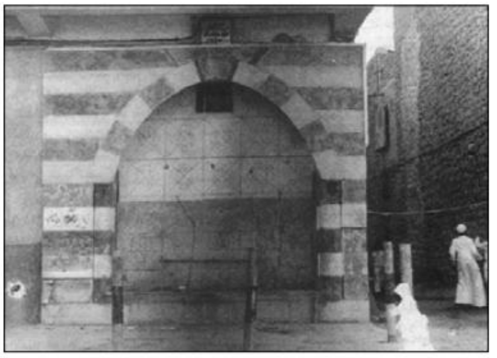
وفي حارة الخرّازين كان هناك سبيل في بيت البرهان، مسكن مفتي الأحناف. وآخر عند باب السلام تحت الموقتخانة. وسبيل آخر في ماكان يعرف بـ (ديار العشرة). وبجوار بيت إمام مسجد الجمعة، عند بئر أريس، عند رباط العجم كان السبيل المعروف بسبيل الشهيد نور الدين؛ وهو نور الدين زنكي، حاكم الدولة الزنكية المعروف.

ومن الأسبلة التي كانت خارج المسجد النبوي الشريف أيضاً: سبيل عند باب الرحمة، وسبيل عند باب الجمعة، وسبيل بجوار زاوية السمان، وسبيل سنان باشا، والي مصر في عهد السلطان سليم الثاني، كان يقع الى جانب القنطرة المعروفة بـ (كوبري سنان باشا). وكان من وراء ذلك السبيل بركة كبيرة عميقة تملأ من العين الزرقاء في أيام ازدحام الحجاج، وتسمى ببركة المصري.

كذلك كان هناك سبيل داود باشا، والي مصر في المدة بين ٩٥٤ - ٩٥٦هـ/ ١٥٣٨ - ١٥٤٩م، وكان هذا السبيل يقع شرق مشهد النفس الزكية، محمد بن عبدالله بن الحسن العلوي، بمنزلة الحاج الشامي قديماً.

سبيل آخر يسمى سبيل السيدة فاطمة، لبعض الملوك، وكان عند باب المصري. وكان لذلك السبيل وقف يأتيه من مصر في كل عام. ومن الأسبلة التي كانت بعيدة نسبياً عن المسجد النبوي الشريف، سبيل كانت فيه بركه لميراد (أي مورد) حيوانات الحج الشامي، والحج العقيلي في الموسم. وهذا السبيل من مسقفات الحرم، وكان في عهدة شيخ الخطباء أحمد أسعد أفندي، وكيل فراشة السلطان.

إن كثيراً من الأسبلة التي تم إنشاؤها في العصر العثماني، سواء داخل المسجد النبوي الشريف او بالقرب من أبوابه، لم يعد لها وجود في العهد المتأخر من حكم العثمانيين. فبعض الرحالة الذين زاروا المدينة المنورة في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، مثل أوليا جلبي، لم يذكر منها غير عدد قليل، من ذلك ثلاثة أماكن كانت داخل القلعة بها صنابير مياه ينزل اليها بحوالي عشرين او ثلاثين درجة من درجات السلالم الحجرية، وتصلها المياه من عين



سبيل عادلة سلطانة في المدينة المنورة

الزرقاء التي تصل الى المدينة، وهي من خيرات السلطان سليمان. كذلك خارج باب المصري كان هناك سبيل الآغا، وهو من الأسبلة التي شاهدها الرحالة التركي أوليا جلبي في الربع الأخير من القرن ١١هـ/ ١٧م. وعلى ناصية كبدي (خاصكي سلطان) كان هناك سبيل آغادار السعادة، كما ذكر جلبي أن بضاحية المدينة التي تقع قبالة القلعة كان هناك سبيل ماء ملحق بكل خان أو مدرسة، وتجلب مياهها من ماء (عين الزرقاء).

البرزنجي الذي ألف كتابه عن المدينة المنورة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ذكر أيضاً عدداً قليلاً من الأسبلة. من ذلك الحنفية التي أنشأها السلطان عبد المجيد خان بجوار باب الرحمة، قبل عمارته للمسجد النبوي الشريف، والسبيل الذي يقابلها وقد بناه السلطان أحمد خان.

يتضح مما ذكر أن عدد الأسبلة التي كانت بالمدينة المنورة، أقل من تلك التي كانت في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، وكان عدد منها موجوداً داخل المسجد النبوي الشريف، أو بالقرب منه، ثم أزيلت في أوقات لاحقة.

السعودية تفتقر التعددية في الداخل، وتطورها في الخارج!


نيل ماكفاركوهر

كتب نيل ماكفاركوهر في صحيفة (هيرالد تروبيون) في ١٢ نوفمبر مقالاً عن الدور السعودي في مؤتمر حوار الأديان، جاء فيه:

السعودية التي تجنّد قوات شرطة خاصة للتأكيد على هيمنة نموذج ضيق من الإسلام في المملكة، ترعى نقاشاً في الأمم المتحدة حول التسامح الديني الذي بدأ الأربعاء (١٢ نوفمبر).

ويقول الكاتب: تتفادى هيئة الأمم المتحدة النقاشات الدينية، ولذلك فإن الإجتماع العام الذي دام لمدة يومين يعتبر رسمياً لقاء حول (ثقافة السلام) وأن معظم الذي حضروا المؤتمر هم شخصيات سياسية أكثر منها دينية.

ولكن جماعات حقوق الإنسان تشعر بالحنق لمنح السعودية مقاماً لتطوير التسامح الديني في الخارج بينما تقاومه بشدّة في الداخل. فمنظمة رقابة الشرق الأوسط (هيومان رايتس وواتش) أصدرت بياناً دعت فيه السعودية لبدء مكافحة التنافر الديني في الداخل من خلال وضع حد لـ (التمييز الديني المنظّم).

إن الموقف الذي اتّخذه قادة الغرب، بمن فيهم بوش، هو أن أي محاولة من قبل قائد دولة إسلامية لتطوير التسامح، وخصوصاً دولة نافذة مثل السعودية، يستحق الدعم.. لا السفارة السعودية في الأمم المتحدة ولا واشنطن ردّدوا على الاتصال الهاتفي أو الرسائل الإلكترونية التي تطالب بتعليق حول انتقاد سجل المملكة حول التمييز الديني.

وقد تفجّر جدل مفتوح أيضاً بين وفود غربية ومسلمة حول ما اذا كان النقاش سيفضي الى إعلان صريح يتضمّن إدانة (إزدراء ما يعتبره الناس مقدّساً). تم تضمين هذه الألفاظ في البيان الختامي الصادر عقب حوار الأديان الذي رعته المملكة في مدريد في يوليو الماضي. وكانت تلك محاملة لإدانة أي شيء قد يتوافق مع قضية الرسوم الكاريكاتيرية التي نشرت في الدنمارك والتي تصوّر بطريقة تهكمية الإسلام والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم). ولكن الدول الغربية تعتبر بأن تلك العبارات تتصادم مع حرية التعبير والكلام.

من جهة ثانية، يقول الكاتب بأن السعودية تمنع مواطنيها ومجتمع العمال المهاجرين، بمن فيهم عشرات الآلاف من المسيحيين من ممارسة العبادة العلنية خارج الإسلام. وإن أكثر من مليوني شيعي يواجهون تمييزاً واسعاً في مجالات العبادة، والتعليم والتوظيف. ويضيف: وتصوّر الحكومة السعودية الملك عبد الله بوصفه مصلحاً يصارع المؤسسة الدينية الطهرانية، وتنقل حوار الأديان كمثل رئيسي، لأن حدود التطرّف قد تقلّصت من أن تمتد الى الخارج، أي (الكفار).

ولكن يشير النقّاد الى أن المملكة تطوّر الحوار بين الأديان في الخارج، وليس في الداخل. ويقول النقّاد بأن التحالف الطويل بين العائلة السعودية الحاكمة والمؤسسة الدينية يبقى قوياً. فالعلماء الكبار يدعمون الحكم الشمولي للأمراء بوصفهم متعهّدين بالإسلام في مقابل الإحتكار شبه التام للمؤسسة الدينية على السياسة الاجتماعية والدينية، حسب قولهم. ويضيف الكاتب: إن صعود القاعدة كان كارثة على السعودية، لأن تعليمات الجماعة الإرهابية متجذرة في نفس التقاليد الطهرانية التي تقوّض أي شيء أجنبي يتم تعميمه أو بثه بحرية في المملكة.

في الوقت ذاته، فلا البيت الأبيض ولا الأمين العام للأمم المتحد بان كي مون كانا على استعداد للتبنؤ بالنتيجة التي سيفضي إليها العشاء المقرر إقامته بحضور الملك عبد الله والرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز. ويقول بان كي مون أن النقاش حول التسامح الديني كان يعني تشجيع مثل هذه اللقاءات. ويضيف (إن الغرض من اللقاء نفسه هو تطوير التفاهم المتبادل والإفصاح عن اختلافات الرأي، سواء كانت سياسية أو دينية). قال بان ذلك في مؤتمر صحافي، في الوقت الذي تفادى أي تعليق حول انعدام الحرية الدينية داخل السعودية نفسها.

دبلوماسيون بالقرب من مبنى الإجتماع قالوا بأنه وبسبب أن السعودية قد تبرّعت مؤخراً بنحو ٥٠٠ مليون دولار لبرنامج الغذاء العالمي، فمن المحتمل لن يكون هناك أحد سيصطدم معها بصورة علنية حول القضايا المحلية المتعلقة بالحرية الدينية.

وجوه حجازية

(١)
إبراهيم بن محمد سعيد المنوفي
(٠٠٠٠ - ١١٩٥هـ)

هو إبراهيم بن محمد سعيد بن جعفر الحسني الإدريسي المنوفي المكي الشافعي. ولد في آخر القرن الحادي عشر الهجري بمكة المكرمة، وأخذ عن كبار علمائها كالبصري والنخلي وتاج الدين القلعي، والعجمي، ثم من الطبقة التي تليه مثل علي السنجاري، وابن عقيله، وآخرين من الواردين على الحرمين من آفاق البلاد. وأعلى ما عنده من إجازة الشيخ إبراهيم الكوراني له. وبينه وبين السيد جعفر البيتي والسيد العيدروس مخاطبات ومحاورات. وكان العيدروس يقول في حقه إنه أديب جزيرة الحجاز ولا أستثني.

له معارضة القصيدة الحائية لابن النحاس، أبدع فيها وأغرب.

دخل الهند بسفارة صاحب مكة فأكرم وعاد الى مكة، وولي كتابة السر لملكها. وكان يكاتب رجال الدولة على لسانه على اختلاف طبقاتهم. وكان قلمه كلسانه سيالاً، وربما شرع في كتابة سورة من القرآن وهو يتلو سورة أخرى بقدرها فلا يغلط في كتابته ولا في قراءته، حتى تتما معاً، وهذا من أعجب ما سمعت.

وكانت له مهارة ومعرفة في علم الطب، وأما انشاءاته فإليها المنتهى في العذوبة وتناسب القوافي، وأما نظمه فهو فريد عصره، لا يجاريه فيه مجار، ولا يطاوله مطاول.

توفي رحمه اله بمكة المكرمة.

له: السبع السنابل في مدح سيد الأواخر والأوائل (ديوان). رسالة في علم الطب(١).

(٢)
محمد بن أحمد كمال الدين النويري
(٨٢٧ - ٨٧٣هـ)

هو أبو الفضل الخطيب النويري. ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها في كفالة أخيه الأكبر، فحفظ القرآن الكريم وتلاه لأبي عمرو على موسى المغراوي، وبعض المتون في الفقه وغيره، وعرض ذلك على جماعة. وقرأ في النحو والأصول بمكة المكرمة على الجمال بن أبي زيد المشهدي السمرقندي الحنفي، والجمال والبرهان البنكالين الهنديين، وسمع مجالس من وعظ أبي شعر الحنبلي، وسمع على أبي المعالي الصالحي، وأبي الفتح المراغي، والتقيّ ابن فهد، وآخرين.

ارتحل الى القاهرة، وأخذ فيها الفقه والحديث عن ابن حجر العسقلاني، وعن القاياتي والوناني الفقه، وكذا النحو عن القاياتي، وأخذ أصول الدين عن السيد فخر الدين الشيرازي، وسمع من ابن حجر العسقلاني والعز الحنبلي ومحمد بن أبي الخير المنوفي. وبالمدينة المنورة، من المحب المطري والشهاب الجريري وغيرهما. لازم أبا القاسم النويري المالكي في اصول الفقه والنحو والصرف والمنطق، وكان جل انتفاعه به. وأذن له في التدريس والإفتاء.

زار البيت المقدس غير مرة، ودخل الشام وغيرها، وما حلّ ببلد إلا وعظّمه أهلها. وحدّث ووعظ ودرس وأفتى، وجمع مجالس تكلم فيها على بعض أحاديث من البخاري. توفي رحمه الله بالقاهرة(٢).

(٣)
محمد بن حسن بن محمد المنصوري
(١٢٨٦ - ١٣٦٩هـ)

تلقى العلم عن والده وعن علماء عصره، واشتغل بطلب العلم وتجارة الكتب، وكان له مكتبة في باب السلام يبيع فيها الكتب العلمية.

وكان رحمه الله إذا أراد تدريس اي كتاب يحرص على خلوة من مكتبته خشية أن يُتهم بالإستغلال. درّس في المسجد الحرام في الرواق الذي بين باب المحكمة وباب السليمانية بعد العصر، وكانت دروسه في التفسير والحديث.

ترجم له الشيخ عمر عبدالجبار في كتابه (سير وتراجم) فقال: كان يشرح لطلابه الأحاديث الواردة في حدّ شارب الخمر وبيان نوعه.. الى أن قال: واستمر الشيخ محمد حسن المنصوري يشرح لطلابه الأحاديث الواردة في حد شارب الخمر، وقد لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبايعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها.. كل ذلك حفظاً لسلامة الجسم، وصيانة العقل. ولكن رغم هذا النهي والترهيب، لايزال بعض ضعفاء الدين يتناولون أنواع المسكرات بإسم تجدد النشاط والإنتعاش والترفيه، وفتح الشهية، فتدفعهم (أم الخبائث) الى ارتكاب أفظع الجرائم والموبقات والشرور التي يندى لها الجبين خجلاً. توفي رحمه الله بمكة(٣).

---

(١) عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ٣، ص ٥١، في وفيات ١١٨٧هـ. وعبدالله مرداد أبو الخير، في مختصر نشر النور والزهر، ص ٥٣، وفيه وفاته سنة ١١٨٧هـ، ثم ذكر في آخر ترجمته: وذكر الشيخ عابد السندي أن صاحب الترجمة توفي لثلاث وعشرين من صفر سنة خمس وتسعين ومائة وألف هجرية، وقال في حقه: وقد كان عالماً عاملاً ورعاً زاهداً، تولى الإفتاء وهو كاره لها. أيضاً أنظر خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ١، ص ٣٤. وكذلك عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ١، ص٣٤، وفيها وفاته سنة ١١٨٧هـ، وكذلك اسماعيل البغدادي، هدية العارفين جـ١ ص ٣٨. وانظر عبدالله بن محمد غازي، نظم الدرر، ص ٧٤.

(٢) محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، ص٣١. وعمر ابن فهد، اتحاف الورى، جـ٤، ص ٥٠١.

(٣) عمر عبدالجبار، سير وتراجم، ص ٢٥٢. وعبدالله مرداد ابو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص٤٨٥، حاشية.

نظام فقد مقومات بقائه لولا (العصبية)

إنها العصبية المناطقية والمذهبية التي تحمي النظام القائم.

لا منجزاته تشفع له بالبقاء حياً.

ولا (وطنيته) المزعومة يصدقها أحد، حتى المنتفعون.

ولا (إسلاميته) يمكن الإستناد عليها في البقاء، في وقت تكفّر فيه مؤسسته الوهابية اكثرية الشعب.

هذا النظام السعودي فاقد للمصداقية الوطنية والإسلامية وحتى الأخلاقية.

نظام توفرت له تريليونات من الدولارات، ولم ينجز للشعب شيئاً بمستوى عُشر ما تصل إليه يداه من المال.

كيف يمكن بناء شرعية لنظام على قاعدة منجز مادي، في حين أن ٥٥٪ من الشعب لا يمتلكون مساكن؟

هذا حسب الإحصاء الرسمي، وغير الرسمي يقول أن أكثر من ٧٠٪ من السعوديين لا يمتلكون منازل؟

أين صندوق التنمية العقارية، ولماذا ينتظر الناس أكثر من عشرين عاماً للحصول على قرض بسيط، قد يساعد على بناء منزل؟

كيف تصبح قيمة قطعة أرض في قرية مغمورة في السعودية أعلى من قيمة نظيرتها في الحجم في عواصم عربية وغربية؟

وأين منح الأراضي، في بلد ممتدة على أكثر من مليوني كيلومتر مربع؟

أليس النهب الملكي المنظم حتى للصحارى كان السبب؟

وهذا النظام لم يصنع منجزاً حقيقياً لشعب يفترض فيه الغنى، بل هو محسود ـ من وجهة نظر النظام وإعلامه ـ على الغنى الذي يعيشه.

كيف يُقبل نظام حكم من الناحية الشعبية، ويوجد لديه ٣٠٪ من السكان تحت خط الفقر، ولا نعلم كم عدد الفقراء الذين يعيشون فوق خط الفقر قليلاً؟

وزير عمل آل سعود اعترف بأن هناك نحو مليون عائلة تعيش تحت خط الفقر، اي نحو ثلاثة ملايين مواطن فقط من ١٨ مليوناً؟ أي نحو ١٧٪ من عدد السكان يعيشون تحت خط الفقر، حسب المزاعم الرسمية.

فليكن رقم الحكومة هو الصحيح. أليس هذا مخجلاً في بلد يهب المليارات للعالم، وينهبها الأمراء ويكنزونها في بنوك أوروبا وأميركا؟

ثم هل وجد أحدٌ لم يتضرر بعد من سياسات النظام الإقتصادية حتى الآن؟

الغلاء وصل الى مدياته العليا. وسوق الأسهم أطاحت بثروة المواطنين وحولت الطبقة الوسطى العريضة الى طبقة فقيرة.

ومع هذا فالنظام يواصل سياساته النفطية للإطاحة بأسعار النفط أكثر وأكثر، خدمة للغرب (الحامي للنظام) وطمعاً في تكسير إيران المنافسة سياسياً في المجال الإقليمي. ولذا تبشرنا أرامكو أنها قادرة في العام القادم على إنتاج نحو ١٢,٥ مليون برميل يومياً!

فأين تذهب هذه الأموال؟

نظام هذا منجزه الإقتصادي، كيف يمكن ائتمانه وعدم تمني رحيله؟

نظام خنق الحريات العامة بشتى أشكالها، ويرفض الإصلاح، هل يمكن القول أنه حقق منجزاً سياسياً؟ انتخابات تشريعية مثلاً؟

احترام حقوق الإنسان؟ توسيع هامش عمل منظمات المجتمع المدني؟

كلا لا منجز للنظام إلا زيادة اسنان الوهابية، وزيادة النهب؟

معظم المواطنين متضررون من النظام. ولكن الأخير يستخدم العصبية المناطقية والمذهبية للحفاظ على الحكم.

إنه يقول للنجديين وللوهابيين بأن مصيركم مرتبط بمصيري.

فلنتكاتف معاً.

ولنمنع الإصلاحات، ولنواجه الإصلاحيين ودعاة التغيير. ولنتقاسم ثروات الدولة: لكم عشرة بالمائة، ولي (العائلة المالكة) تسعين بالمائة!

لولا اتكاء النظام على العصبية، ما بقي حتى الآن. فقد فقد النظام مقومات بقائه منذ زمن.



هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته   سِفرُ الوجود ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات







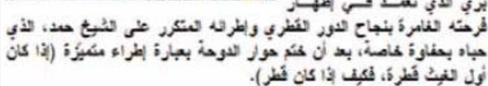
إتصل بنا

(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة



من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبّة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسرّبت الى إبتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حباه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).





(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد.



من يتآمر على الآخر؟!

وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة)، وبحسب الصحيفة فإن

حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.



خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.



وداعـاً مـكّـةَ!

لم يتبق إلا القليل من مكة.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتى كان أشدها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها: جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى



أزياء حجازية